نحن والقيم

نحن في هذا البلد ، أو قل في هذا الشرق العربي ، ماذا نعرف عن القيم ؟..ماذا نعرف عن الحق ، عن الخير، عن الجمال ، عن المحبة ؟ ماذا نفقه من القيم الفرعية الاخرى ؟

اننا نعرفها جميعاً، ونتبناها دائماً، بل نلهج بذكرها في كل وقت، وكل مناسبة ، ولكن على اي اعتبار؟ أعلى اعتبار أنها مبادىء للتحقيق ؟ أعلى اعتبار انها "مثُل" مطلقة نطلبها لذاتها دون ابتغاء نفع عرضي من ورائها ، وان في مدى تحقيقها يتركز مقياس رقينا واهليتنا للحياة ؟ أعلى اعتبارها معانٍ جزلة حية ، نكتسب بها ميزة الانسان على ما هو دون الانسان ؟..

كلا ، إننا نتخذها اسماء بدون مسميات.. نتخذها رموزاً متحجرة فقدت مدلولاتها التي نتنكر لها او نجهلها تماماً ، ولم نعد نلجأ الى هذه الرموز الا لتتويج رأي اعتباطي اجوف ، او تبرير تصرف او موقف شاذ .

ان صرح الحضارة والعمران لم ينهض الا على قيم العلم والبطولة والفكر والتضحية والعدل والحرية . والرقي الذي تمتاز به الامم،يعود في جوهره الى الاخلاق التي طالما تبجحنا بأنها وليدة روحانية الشرق.فتجاه أهمية القيم هذه،ما الموقف الذي اتخذناه؟

لم نصنع شيئاً في هذا السبيل ، بل لم نع بعد هذا الموضوع ، وإنما أغرقنا في انحلال نفسي مستقر على التقويم بموازين المادة. فاعتبار المظهر مقدم على اعتبار الجوهر ، وقيمة الفرد ليست في كفاءته وجهده ، ولكن في فوزه ولو كان فوزاً رخيصاً ، وقيمة العمل ليست في معنى هدفه ، ولكن في آنية هذا الهدف ، وفي نفعه العرضي ، وسرعة الوصول اليه بأي ثمن . فاذا بالعلم يتحول في نظرنا من « غاية » تتحقق فيها جدارة الانسان ، الى « وسيلة » مبتذلة للكسب . واذا بحرية الرأي تتلاشى امام اجتماعية كاذبة لا تمتنى بغير الرياء . واذا بكرامة الانسان تتعفر في الارض لكي تحابي الاصنام .

والتقدم العلمي رهن بروح التجرد والتضحية وبمجهود تركيز الفكر . والنضوج الاجتماعي متوقف على مدى تعزيز « النظام » الذي يقوم على احترام الواجبات، كل الواجبات، وعلى التقديس الصريح للحرية .والنهوض القومي تبعٌ لمستوى الوعي والشعور بالكرامة وروح الكفاح المستمر من أجل تكامل الذات .

فهل نحن على الطريق التي سلكها قبلنا ركب الحضارة ، ام اننا نريد ان نكتفي بفتات الغير وان نظل على غرورنا بما اخذنا عنه من قشور خلابة ، تعويضاً عما نعاني من عقدة نقص ؟

تتميز الامم الناهضة عادة بظهور افراد مثاليين فيها ، يكونون بمثابة مخزون طاقتها ، الذي ينطلق فيذكي نشاطها الابداعي في ميادين الفكر والعمل ، ويثب بها وثباً الى الامام . وفي هؤلاء الافراد تتركز قيمة تلك الامم ، وتتبلور قدرتها على الحياة . فهل يرجى من قيمنا « المقلوبة » ان تسمح بظهور أمثال هؤلاء الرجال؟

هل يوجد بيننا علماء وضعوا حياتهم ونشاطهم في خدمة البحث العلمي ، فحبسوا انفسهم ضمن المختبرات كما يفعل الكثير في الامم الحية اليوم ؟ هل فينا رجال يتفانون في تذوق الجمال وفي إبداعه ؟ بل اين هو المفكر الصارم الذي يبلغ به الحرص على الحقيقة ان يتحرر من التقاليد ، ويتبرأ من النفاق ، ليتقمص القيم تقمصاً ، ويجعلها نبراساً لسلوك الافراد والشعوب .

إن تربية سلطان القيم في النفوس هي واجبنا الاول.وهي الاساس الذي ينبغي ان يقوم عليه توجيه النشء ولن يكتب لنا تقدم او نهوض او حياة الا بهذه التربية .

محمد وهبي

سخرية الرماد

للآنسة نازك الملائكة

بغداد

لو رجعنا غداً وأراد الزمان   ان يرانا كما كنا
والتقينا... فهل ينبض الميتان   خلف الواح صدرينا ؟

لو رجعنا غداً ورآنا القمر   بعد غيبتنا الكبرى
ورأى كيف نمنح ما قد غبر   ومضى فرصة اخرى

لو رجعنا غداً ورأتنا النجوم   نجمع الذكر الذابله
نستعيد الهوى ونظل نحوم   حول أحلامنا الراحله

لو رآنا الطريق نشق السكون   بتعابيرنا الجامده
ويخادعنا ما طوته المنون   من رغائبنا الخامده

وتزيل رماد شهور طوال   عن هوىً لفه المستحيل
فوق أشلائه ذكريات ثقال   من دموعي وحزني الطويل

سترانا النجوم نسير معا   يخدع الليل مرآنا
خلف أهدابنا شغف مدّعى   ساتر سر ما كانا

وسيسخر من شبحينا القمر   وهو يرقب كيف نسير
كيف ننشر ما قد طواه القدر   واحتواه سكون المصير

وهناك نرى جثث الاشواق   في خمود طويل عميق
ويخادعنا لونها البراق   فنؤمل ان تستفيق

ونرى ركب أيامنا الماضيه   لم يزل لاهث الانفاس
فنمد له الاذرع الذاويه   علّه يوقظ الاحساس

ويرانا الدجى راكعين على   تربة المرقد الجافيه
نلمس الجثث المرسلات الى   الافق أعينها الخابيه

ويرانا الدجى نجأة في عياء   في أسى غامق شارد
واقفين نحس اصطدام الرجاء   بثرى الواقع البارد

ويمر على جبهتينا المساء   بارداً.. مثل لوح جليد.
وتعود كواكبه البيضاء   أعيناً ملفحت بالوعيد

ويشيعنا القمر الهادىء   ببرود مثير غريب
ويلاحقنا وجهه الهازىء   حيث سرنا بصمت مريب

ونحس أخيراً بأن القضاء   قد طوى حبنا الأفلا
وبقينا حيارى هنا غرباء   نذرع العمر القاحلا

وهنالك سوف يغني الرماد   وسيسخر حتى القمر
من أسانا، ومن أمل لا يعاد   كان يوماً لنا... واندثر..

الآلهة الصغيرة

من « السيول والعنقاء »

بقلم جبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الاداب من جامعة كمبرج

***

اضطجعت في القارب الطويل* بعد ان ربطته بالحبل الى شجرة الصفصاف ، وجلست شيلا بجانبي والكتاب بين يديها .

قالت : « لقد تعبت ، ولك الحق في شيء من الراحة . وسأقرأ لك قصيدة وانت نائم ».

قلت : « ألا تعرفين ان جمالك يقلقني ؟ ولصوتك من العذوبة ما لعينيك من فتنة . فاذا سمعت صوتك اقلقتني عذوبته ».

ـ إذن اتؤثر ان ابقى صامتة ؟

ـ شيلا عزيزتي . اقرأي لي واقلقيني بجمالك . انه قلق لذيذ .

فقالت مستضحكة : « لماذا اوقعني ربي في حب شاعر مثلك ؟ ولكنك عاق . فانك لم تقبلني اليوم سوى مرة واحدة ، وكانت تلك قبلة اشبه باداء الواجب منها بشرارة من قلب مشتعل ».

فاغلقت عيني وقلت بهدوء : « حالما نعود ساخنقك بالقبل ».

ـ اوعد ذاك ام وعيد ؟ ولكن اسمع .

وراحت تقرأ القصيدة . فتمثلت حدائق فيحاء ، تجري الجداول في ثناياها ، وشيلا تلاعب ظبية وتراكضها بين الشجر ، ثم يمتلىء الجو بضوضاء فرسان يقتحمون سكون الحدائق ويقتلون الظبية ، ويحملون شيلا بايد شرسة ، وتنطلق بهم الخيل نحو افق بعيد الى ان يتلاشوا في غبار كثيف . غير ان صوت فتاتي متزن . وها هي جالسة بقربي تقرأ الشعر . واني ، وان اكن مغمض العين ، لاعرف كيف تتحرك شفتاها ، وتظهر اسنانها بين اللحظة واللحظة ، تارة تقطب حاجبيها وتارة ترفعهما ، وهذا دأبها حتى عندما تتكلم : إنها لا تتكلم الا من قرارة قلبها . إنها تقلب الورقة الان ، وما أجمل يدها الصغيرة ! لشد ما كانت دهشتي عندما رأيت يديها يوم تقابلنا لاول مرة . فقد كانتا صغيرتين في تناسق دقيق ، وهل انسى كيف امسكت يدها فوق الصحون ـ ونحن جالسان الى مائدة العشاء في المطعم الصغير ـ ولثمتها ، واذا هي تحمر حتى اذنيها حياء ، وتنظر حولها خشية الرقباء ! وقد كانت تلك اللثمة ختما على اقراري الصريح بحبي لها وما كان قد مضى على حديثي معها لاول مرة سوى ساعتين او ثلاث . وقد علمت الان ، وانا متمدد في القارب وصوتها يملأ حواسي بجمالها ، صدق الشاعر حين قال : « او هل رأيت عاشقاً لم يكن حبه من اول نظرة ؟ »

ـ جبل ! أنائم انت ؟ اذن ضاقت عليك قراءتي !

ـ لا يا عزيزتي . كيف انام وكلي يقظان ؟

ـ اني ساغضب اذا نمت . الا يكفيك انك لم تقبلني الا مرة واحدة طيلة هذا النهار ؟ ولكن لا بأس . نم يا عزيزي ، لانك في الحقيقة تروق لي عندما تنام ، كم الساعة ؟

ولم يكن التناقض في قولها امراً جديداً علي . فاجبت : « لست اعرف كم الساعة ، ولا اريد ان اعرف . فقد تركت ساعتي في غرفة النوم ، ولن احملها ما دمت معي . اليس من السخف ان يصنع المحبون للزمن مقاييس وحدوداً ؟ دعنا نعش احراراً من عبودية الزمن وابنته الساعة البغيضة . »

فضحكت شيلا وقالت : « انت رائع في نومك ، ورائع في غضبك . إني احسد نفسي عليك ! » واخذت يدي بيدها وضغطت عليها . ـ يداك الناعمتان تذكرانني بالياسمين .

ـ الياسمين زهرة شرقية . اليس كذلك ؟

ـ أصغي الى شعري المنثور يا شيلا ، ولا تقاطعيني بالاسئلة . والان ـ لقد أضمرت على فكرة جميلة .

* راجع « الأديب » لشهر مايو ١٩٥٠ .

قلت ذاك واستويت قاعداً وحدقت في عينيها . فالتمت فيهما النيران ، وقلت لنفسي « ما اجمل هذه الفتاة ! » وقلت لها : « وكيف اصف لك جمالك ؟ »

قالت : « صفه شعراً ونثراً . صفه بالصور والموسيقى . صفه بالرقص والتمثيل . وساجعل عرائس الفن كلهن يوحينك – اذا كنت حقاً تحبني » .

قلت : « اذن ساستوحي احداهن هذا المساء ، فاعبر لك عن جمالك بالرقص . انذهب الى الرقص بعد العشاء ؟ »

– نعم لنذهب. ساحل القارب من عقاله الان، ونعود الى البلد

وقفزت الى الضفة وحلت السلسلة ، ثم قفزت الى القارب مرة اخرى ، وقمت الى عصا القارب الطويلة والقيت بطرفها الى قاع النهر ، وحولت اتجاه القارب عودة، فاندفع طائعاً والامواج الصغيرة تتضارب رقراقة على جوانبه . وهب الهواء لطيفاً، فكان يلاعب فستان شيلا ، وينزل بخصلات شعرها فوق عينيها ، فتهز رأسها وتعيد شعرها الى مكانه ، وقد استقرت اطرافه على كتفيها. غير اني تذكرت الحدائق الفيحاء، والظبية تراكض شيلا، واذا بصورة الفرسان تعود فيقتلون الظبية ويختطفون الفتاة ، فاراها وقد تدلى رأسها وهي ملقاة على الحصان ، وشعرها يطير في الهواء كخيوط من الذهب ، ولكن الفرسان يرتفع عويلهم في احشائه خيالاتي المزعجة . واذا شيلا تقول : « جميل ! »

– نعم ؟ – بماذا تفكر ؟ – لم اكن افكر بشيء .

– لقد كانت في عينيك نظرة بعيدة – نظرة بعيدة غريبة .

فكذبت قائلا: « كنت افكر في العشاء الفاخر الذي سنتناوله في المطعم . »

فقالت : « لا اصدقك ، ولكن لا بأس . الا تظن انه يحسن بنا ان نقتر على نفسينا قليلا، فلا نذهب الى المطعم هذا المساء؟ »

واذ رحت ادفع القارب بعصاي – ونهر الكام مزدحم بالقوارب – جعلنا نتداول في امر هذا التوفير الذي لا بد منه . فقد كنا اذا جمعنا ما معها وما معي من مال لا نحسد على ثروتنا ، ونحن نريد كل انواع المتعة في فرصتنا القصيرة معاً. فكنا نقول: سنضحي بالضروريات في سبيل الكماليات ! وكيف نرضى بالحياة اذا لم نخرج بين الفينة والفينة الى النهر ونأخذ قارباً نبتعد فيه عن المدينة ، ولم نذهب الى المقاهي بعد الظهر لنشرب الشاي بين فتية المدينة وفتياتها ، ولم نسع الى الرقص كل يوم او يومين ونحن نعشق الرقص ، ولم نذهب مرة على الاقل في الاسبوع الى المسرح ومرة الى حفلة موسيقية ؟ اذن فالبرنامج حافل ، ولا بد من التقتير شيئاً لكي نستطيع تنفيذه باجمعه .

وأنى لي ان اصف النشوة التي كنا ننضح بها ونحن مندفعان، وذراعها بذراعي ، في الطرقات نحو اهدافنا ؟ وذلك الكلام الكثير والتحليل الدقيق والنقد المتواصل لكل شيء رأيناه وعملناه ؟ وفوق هذا وذاك ، كم كنا نتيه زهداً ان نعرف ان العيون ترقبنا اينما ذهبنا ، والرؤوس تلتوي في اتجاهنا اينما حللنا فقد كان لشيلا جمال العذراء في صور الرسامين الايطاليين ، وشعرها السايل مفروق في الوسط ويحيط بعنقها كاطار ذهبي ، فيبرز جمال عنقها الطويل ، وتنحدر كتفاها باستدارة لطيفة نحو ذراعيها فيلذ للعين الا تصدم ، بل تنحدر منها النظرة بلطف نحو نهديها الصغيرين ثم سفلا نحو خصر دقيق تحيطه في اكثر الاحيان بزنار عريض . كان جمال شيلا بارزاً في انوثتها الوادعة – ولم تحاول يوماً ان تزعج بشرتها بالمساحيق – ولكنها كانت انوثة المرأة الذكية الواثقة من نفسها ، ولعلها تثور حين تريد ، فتكاد تصبح انوثتها بركانية.ومشيتها المندفعة ، بساقيها الطويلتين المنسجمتين ، دليل على ذلك .

وكما كانت شيلا تلفت انظار المارة بحسنها ، فقد لفتت نظري يوم رأيتها لاول مرة قبل ذلك بثلاث سنوات ، عندما ذهبت كطالب الى جامعة صغيرة في مدينة « ك » في الجنوب ، لكي اهذب لغتي الانكليزية قبل ان ادخل كمبرج كطالب حقوق. وكانت هي ايضاً طالبة حديثة العهد مثلي بالجامعة. رأيتها واقفة في الداخل قرب نافذة موصدة الزجاج وانا في الخارج ، فاقتربت من النافذة وهي قد ارسلت نظرها نحو الافق كانها تفكر في شيء تكتبه لان القلم والورق كانا بين يديها ، فشعرت كانني جفلت من جمال عينيها . ولما مررت بالنافذة وكان ظهري موجهاً اليها تساءلت في

نفسي : ترى هل لاحظتني ؟ وخشيت فجأة ان تكون قد لاحظتني فلم ترق لها ثيابي ، اذ كنت ما زلت البس ثياباً خطتها في بلدي ! غير انها اخبرتني ، عندما تعرفت بها بعد ذلك بايام ، انها لم ترني يومئذ ، وأنها كانت قد رأتني مرة في احدى حفلات الطلبة وهي جالسة خلفي ، فدهشت لشعري الطويل وقد كاد يتلوى خصلا وراء رأسي ، فقالت لجليسها : « اود لو استطيع ان اغمس يدي في هذا الشعر الاسود الغزير ! »

وكم كان يروق لها ان تفعل ذلك فيا بعد ، وكأن في اصابعها تيارات دقيقة . وها هي الآن جالسة في القارب تضحك مني ، لان الهواء يعبث بشعري ولا استطيع ان اعيده الى وضعه لان يدي مشغولتان بدفع القارب . وها هي تقول : «اياك ان تمشط شعرك ما دمت معك ! لن يصفف شعرك الا اصابعي » ثم يعبث الهواء بشعرها الطويل فترفعه بيدها، وقد رمت السعادة في عينيها وشفتيها ، كأنها لم تعرف يوماً الماً ، ولم تقر يوماً بوجوده .

غير انني كنت اعرف ان فرحاً مثل ذاك لم يكن الا عصارة آلام كثيرة عانيناها سنوات ثلاثاً . ولكن شيلا اليوم مرحة ضاحكة . والقارب ينساب يحمل حلمنا الجميل ، وفي يد شيلا كتاب الشعر ، وثوبها يرفرف حول ساقها وينحسر احياناً عن ركبتها البضاوين ، فاضحك قائلا : « لن تقلع الآلهة الصغيرة عن مداعبتك . »

فتقول : « إنها تشاركنا الحب كما فعلت بنا الليلة الماضية»

وتوقفت مستذكرة ثم اضافت: «لقد كانت ليلة غريبة يا جميل!»

ليلة غريبة !

كنا خرجنا في المساء للمشي في جو رائق ، واذا العناصر تباغتنا فجعل الهواء يهب في شيء من الشدة ، ثم انقلب الى ريح تمر من بين الشجر على جانبي الطريق وتزأر في وجوهنا. وبعد قليل جاءنا المطر رذاذاً ، ثم راح ينهمر بشدة ، فلجأنا الى الاغصان نحتمي بها من البلل . وقالت شيلا :

« هذه الريح انفاس آلهة صغيرة ماجنة. إني اخالها تداعبنا!»

فقلت: «إنها تشاركنا الحب. فهي تلتف حول كل قبلة تعطينني اياها»

ــ لقد سكرت الآلهة الصغيرة من قبلاتنا . أصغ الى الرياح

ــ ان فيها صقيع الاسى والالم .

ــ لا تذكر الالم ! هذا لهاث الرقص بين شفاه الآلهة !

ــ ومن أدراك ان الآلهة الصغيرة لا تئن وهي ترفرف حول قبلاتنا ؟

ــ جميل ، قبلني قبلني، ولا تذكر الا الحب . الرياح عاشقة . الامطار وهي تراقص الارض . التراب كله نشوة . الاشجار تتثنى شهوة . وانا كلي حب من الرأس حتى القدم . انظر ! ما هذه الطبيعة في الحقيقة الا انا وانت ...

ــ أجل يا شيلا. انا وانت تملأ الدنيا. انت الريح وانا الشجر انت الثرى وانا المطر . ولكن في صدري أسى يا شيلا . ما الذ شفتيك وما ارق ملمس وجهك المبلل ، وما اجمل شعرك تائهاً فوق عينيك . ولكن هذا الالم البغيض لن يزول .

ــ انك تغالط نفسك . ألمك رعشة الحب . أصغ الى هذه الشجرة والهواء يمرق من احشائها. ماذا تقول ؟ ــ يا ويلتاه...

ــ كذب ! انها تقول : ما .. أحـ .. لى الـ ... حيا .. ة .. لقد انطلق شعرك كشعر الملائكة الطائرة ! اوه شفتاك جمرتان.

ــ لتحترق منها شفتاك . ــ يا حبذا الحريق !

ــ لنمش بسرعة . كاد المطر يغرقنا .

ــ يا حبذا الغرق ! ــ شيلا !

ــ قبلني ولا تتكلم . قبلني ولنصغ سوياً الى ثورة العناصر . جميل ، إن تتركني يوماً ، أمت . ولست اريد الموت ، بل الحياة اريد الحياة ، برياحها وامطارها ، وشمسها وحرها . اريد الحياة وانت ، انت معي . إن تتركني يوماً امت .

***

وانساب القارب على المياه الخضراء الرجراجة ، تحت فروع الصفصاف المتدلية ، وقلت :

« أجل ، كانت ليلة غريبة،كانني نجوت فيها من خطر مخيف

لقد عدت الى نفسك الحقيقية حينئذ ، بعد ان رأيت فيك تغييراً خشيت عليك منه ».

ـ اما انا فقد شعرت حينئذ باني عدت الى الحياة من جديد. فقد كنت شقيت جداً وانت لا تدري . مسكين نورمن ، اتظنه سيأتي اليوم الى كمبرج كما وعد ؟

فالقيت بعصا القارب نحو قعر النهر بعنف وقلت : « سيأتي ليرى هزيمته بعينيه ».

وهل من هزيمة انكر لشاب في العشرين من عمره من هزيمة في الحب ؟

وذلك ان شيلا ، عندما تركتها في جامعة الجنوب ، كانت كالعادة محط انظار كثير من الطلاب . وكان من بينهم اثنان او ثلاثة عرضوا عليها الزواج ، ولكنها رفضت . غير ان نورمن حظي بصداقتها ، وجعلا يخرجان معاً للمقاهي والنزهة في الغابة المجاورة ـ حيث كنا انا وشيلا نقضي ساعات طويلة كل يوم ـ وقد اخبرتني عن نورمن في رسائلها ، ولكنني لم اخش شيئاً في اول الامر . واذا بالصداقة بينهما تتطور في بحر أشهر قليلة، وما كان علي الا ان اسرع الى مدينة «ك» حالما فرغت من امتحاناتي في كمبرج ، لارى ان نورمن ينوي الزواج من شيلا ، وانه سيأخذها لقضاء الصيف عند اهله .

ولم يكن نورمن غريباً عني . فقد كنت تعرفت به قبل ذلك في عطلة عيد الميلاد . واذكر كيف انا اثرنا حضننا في قضية فلسفية ، فاستعرضت رأي افلاطون فيها ، واذا هو ينظر الي مشدوها ثم يقول لي امام شيلا : « لا بد لي ان اعترف باعجابي باطلاعك الواسع ! » وقد خجلت حينئذ من ذلك الاطراء، لان اطلاعي لم يكن واسعاً كما تصور ، ولان المسالة كانت نسبية على الارجح . غير اني عندما قابلته هذه المرة ، تذكرت اعجابه القيم ، فشعرت بالكثير من الثقة ، ولم اشك في اني ساهزمه في معركتنا من أجل شيلا .

ولكن عندما جعلنا ثلاثتنا نخرج معاً ، هالني ان اكتشف ان شيلا تحب نورمن ، وانها تفكر في الزواج منه تفكيراً يقلق نومها . وهي تقول إن نورمن سينضم الى الجيش في بحر شهرين او ثلاثة ، ومن عادة الجنود ان يتزوجوا قبل دخولهم المعارك ، وأنها «تعطف عليه»... تعطف عليه ؟ .. وللحال ادركت ان نورمن أثر في نفسها لا بمقدرته وانما بضعفه ! لقد كان شاباً جميل الوجه ، ولكن أقصر منها بقليل. وبقدر ما كنا انا وشيلا مغرمين بمسائل الفكر ، كان هو منصرفاً الى الالعاب الرياضية .

فكانت شيلا تقول : «إنك تخيف هذا الولد بمجادلاتك المنطقية ولكن نازله في ساحة كرة القدم ...»

وبقيت في حيرة من امرها ، ولعلها كانت اكثر حيرة مني ، ونورمن يلح على اخذها معه عند اهله ، ويخشى إن انا ابعدتها عنه اسبوعاً واحداً ان يفقدها الى الابد. وكنا اذا تقابلنا ـ أنا ونورمن ـ يعامل الواحد الآخر بكل احترام، كما يفعل «الجنتلمان» والغريب اني لم أحمل له اية ضغينة ، ولا أظنه كان يكرهني، بل انا اذا كنا وحدنا بدون شيلا نتصرف بمودة عجيبة. وحدث ان جلسنا نشرب في ظهر أحد الايام ، ونحن في انتظار نفس المرأة فجعل كلانا يفصح عن خفايا عواطفه ولواعجه وقد انطلق لسانه بفعل الخمر، حتى شفقت عليه وشفق علي. وقلت: «إسمع يانورمن سنترك الامر لشيلا، وعليها ان تقرر في الحال، إما أنا او أنت»

ولما قدمت خرجنا نتمشى ، وهي في الوسط. وبعد قليل سألتها : « هل قررت على شيء ؟ »

ـ على ماذا ؟ ـ انا أم نورمن ؟

فالتفتت الي ونظرت في عيني نظرة طويلة ملؤها الألم . ثم أدارت وجهها نحو نورمن وأطالت النظر في عينيه ايضاً. ثم قالت في شبه حشرجة : « لست ادري »

فقال نورمن : « يجب ان تبتي في الامر »

قالت : « لا أستطيع » قلت : « يجب »

فمدت يديها الى اطراف شعرها الجميل وجعلت تسحب به رأسها بعنف يميناً وشمالا وتصيح: «لا أدري. لا ادري. لا ادري»

واتكأت على جدار قريب وراحت تبكي.

فوقفنا هناك ينظر بعضنا الى بعض كالبلهاء ، ثم قلت :

« اسمعي يا عزيزتي . سأتركك الان مع نورمن لتتباحثا في الامر على حدة . ولكما ان تذهبا اينما تريدان . وفي الساعة السادسة تعودين ونخرج انا وانت لنتباحث في الامر على حدة ايضاً . وغداً تقررين. إما ان اعود الى كمبرج وحدي او معك » .

فهتف نورمن : « فكرة رائعة ! »

وتركتهما . كانت الساعة حوالي الثانية بعد الظهر .

وبعد نصف قرن من الانتظار الاليم كانت الساعة السادسة . والتقيت بشيلا . واذا عيناها وارمتان من اثر البكاء .

وقالت : « خرجنا على الدراجات في اتجاه البحر ، ولم ينقطع نورمن عن الكلام لحظة واحدة . يحثني ويوبخني ويحذرني ويغريني ويحاضرني ، حتى انفجرت ببكاء انقلب الى ضحك هستيري من لفت انظار العابرين ... ثم ركبت دراجتي وعدت وحدي ـ اليك . اتظنني احبه « يا جبل ؟ »

فاجبت بدون تردد : « طبعاً لا . ولكنني لن افعل ثانية ما فعله نورمن . لنذهب الى الغابة ، ولن نتطرق الى بحث هذه المسألة ابداً . بل نتكلم عن كل ما ليس له بنا علاقة . »

ـ يا ليت ! سنتكلم عن الشجر . اورأيت بعض الزهور المتأخرة التي في أعلى التل ؟ ـ أين ؟

ـ قرب تلك الصنوبرة الضخمة ذات الجذع المشقوق .

ـ حيث قبعنا مرة ساعتين نرقب القمر وهو يصعد ؟ ـ تماماً !

ـ لنذهب إذن . ولكن الزهور لن ترى في الظلام .

ـ سنتحسسها بأيدينا ...

فاخذت ذراعها بيدي وقلت : « لن نعود حتى املأ شعرك بالزهور »

وكانت النتيجة ان اصطحبتني شيلا في الصباح التالي الى لندن ومنها الى كمبرج . وكان ذلك آخر ما رأت من نورمن . غير أنها بعد اسبوعين او ثلاثة جاءتها رسالة بعنواني يقول فيها إنه سيأتي الى كمبرج ليقنعها بوجوب عودتها اليه . وعين مساء اليوم الذي سيجيء فيه.

وخرجنا ذلك اليوم الى النهر .

***

جعلت ادفع بالقارب ، وانا واقف في مؤخرته وشيلا مضطجعة في مقدمته ، وكانني احمل غنيمتي الى حيث الامن والطمأنينة . ولسوف نجلس في غرفتي محاطين بالكتب ونقبل على خوض المسائل الفكرية ، التي قد لا نحلها نهائياً الا بعد ان نخرج ثانية الى الشوارع المظلمة المهددة بالغارات الجوية ، او في مقهى « دوروني » حيث تتراجع المسائل جميعها ازاء دوران الراقصين وزمجرات الموسيقى

ـ اتظن ان نورمن سيأتي كما قال ؟

ـ سيأتي ليرى هزيمته بعينيه .

وتهب نفحة بليلة من الهواء ، وتقلب شيلا صفحات كتاب الشعر وتقول : « اسمع ما اجمل هذه الأبيات . »

واذ تبدأ بتلاوة الشعر ، أراها مرة اخرى يحملها الفرسان الغزاة على فرس جامحة ، وتتطاير خصلات شعرها في مهب الريح ، وارى نفسي اركض وراءهم من بين الشجر ، واتعثر على الاغصان الساقطة .

ولكن القارب ينساب ، والماء الرجراج يضرب جوانبه ، ولن تستطيع يد ان تعكر مثل هذا الصفاء الجميل . فقلت :

« لماذا نخشى على الاشياء الجميلة ، نخاف عليها حتى من ظلنا ؟ »

ـ ماذا تعني ؟ اقصيدة اخرى ؟

ـ لا ، ولكن الجمال ... ما اسهل ما يتحطم بين ايدينا .

والقيت عصا القارب بعنف الى قعر النهر .

ولما عدنا الى البيت الذي كنت اسكنه وجدنا برقية باسم شيلا ففضت غلافها بلهفة وقرأت بصوت عال :

« قررت الا أجيء . ارجو لكما السعادة . نورمن . »

ثم ناولتني البرقية : غير انني لم اقرأها ثانية ، بل كورتها في قبضتي وقلت : « مسكين نورمن » .

اما شيلا فلم تقل شيئاً ، اذ لفت ذراعيها حول عنقي ، وعلى شفتيها ابتسامة ، وفي عينيها دمعتان براقتان .

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

محمد مهدي الجواهري

شعراء العرب المعاصرون

بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي

استاذ الأدب العربي بمعهد آسيا في نيويورك

ليس من الميسور* في كل جيل أن نظفر بشاعر مستوعب لروح قومه ، او مهتم بالمثُل الانسانية العليا اهتماماً يستحوذ على مشاعره ، فتذوب عناصر فنه في هذا الشعور ، ويخرج من الآثار الفنية الرفيعة ما تتبلور فيها عواطفه وتفكيره وأمانيه وأحلامه وأخيلته في وحدة منسجمة جذابة .

أجل ، ليست مثل هذه الظاهرة ميسورة في كل جيل ، وإن جاز ان ينبغ شعراء ، لا شاعر فحسب ، في جيل بعينه نبوغاً مجرداً يعتمد على طاقتهم الفنية لذاتها لا غير ، في حين قد يتدلى او ينحدر شعرهم ، فلا تكون له أية قيمة سوى قيمة الألق الباهر الذي يعجب به او يتسلى الناظرون، او الخمر التي يلهو بها الشاربون .

وبين أولئك الأفذاذ الشاعر العراقي الجهير محمد مهدي الجواهري الذي حافظ للوطنية العراقية على مكانة رفيعة في الشعر العصري بعد ان حرمت علميها الشاعرين الرصافي والزهاوي كما أسهم بشعره القيم في الدفاع عن حقوق الانسان وكرامته قبل ان يشغل بنفسه او بتوافه الوجود. وتألق نجمه في سماء العالم العربي يتفق واليقظة الثقافية الشاملة بل اليقظة القومية عامة في اقطار العروبة ، كما أن صدور ديوانه بجزءين يتفق وظهور نفحات شعرية اخرى رائعة من بلاد الرافدين به ظهور آثار المجمع العلمي العراقي التي تنم عن نضوج فكري عظيم .

يضم الجزآن من هذا الديوان ستاً وخمسين قصيدة من عيون الشعر العالي ، وقد أهداه الجواهري «الى من اختاروا عامدين مصرّين صامدين طريق الحرية والنور والخلاص ـ الى من تحملوا متحفزين آلامهم وحرمانهم في هذا السبيل ـ الى ضحايا الجور والحقد والانتقام ـ الى من كانوا يقدرون ، لو ارادوا ، ان لا يكونوا كذلك » . والديوان محلى في جزءيه بطائفة من الصور الفنية وله مقدمة وجدانية مؤثرة نسجها في اسلوب قصصي وجاءت بمثابة ترجمة لسيرته الفكرية والعاطفية وهي ناطقة بروح الحرية والشمم ، شارحة لتطوره الذهني والنفساني .

يميل شاعرنا الى النظم المطوّل ولكنه لا يسفّ ، وفي الثلاثين والاربعمائة صفحة التي تحتوي على مئات الابيات من شعره الحي نجد شواهد لا حصر لها على الشاعرية المتوقدة وعلى المثالية الرفيعة وعلى الديباجة الجزلة الفريدة في صياغتها الكلاسيكية الفخمة حينما هي في الوقت ذاته تعلن أنها خادمة وحيه وليست بالمسيطرة التي يحتمي وراءها النظامون السطحيون لو أن لهم بلوغ شأوها . ومع ذلك فما يزال للجواهري شعر كثير لم يدوّن بعد .

ويستوقف انتباهنا رثاؤه لشاعر النيل محمد حافظ ابراهيم ، فالشبه في الروح الوطنية الاصلاحية بين الشاعرين عظيم ، وقد عاش كلاهما لشعره وفي شعره ، واحتمل ألوان الحرمان في سبيل إخلاصه ، وإن كان لكل منهما ظروفه وبيئته التي كيفت الى درجة محسوسة أسلوبه وتفكيره وتفاعله معها. وقد كان حافظ يميل الى النصوع البياني مع شيء من الجزالة والى التبسط غالباً «وهو الذي ينسجم والذوق المصري في زمنه» . أما الجواهري فديباجته متناهية في الجزالة القوية التي تلائم الذوق العراقي من ناحية ، وتنسجم وشخصيته الثائرة من ناحية اخرى. وكلا الشاعرين ذو طاقة شعرية محترمة، ولكن طاقة الجواهري أعظم من طاقة حافظ وتفكيره اوسع. وكلاهما موسيقي الطبع ولكن موسيقى حافظ أسلس. وكلاهما راق في انفعالاته ، لاننا لا نعد من الانفعالات الهابطة الاوصاف القصصية التي نجدها في مثل ملحمة « أفروديت » للجواهري .

وكلا الشاعرين يحترم المذهب الواقعي ، ولكننا نجد المذهب الفني ذا سلطان أعظم على الجواهري ، ونجد الابتداعية

* حديث اذيع من محطة صوت امريكا في نيويورك

بل والرمزية تبتسمان في اسلوبة الكلاسيكي لمن يتجاهلها في شعره . وكلا الشاعرين ينظم غالباً في مناسبات خاصة او عامة ولكنه ارتفع غالباً فوق حدود المناسبات .

وحينما يؤرخ لزعامة الشعر الاصلاحية في اقطار العروبة ستكون للشاعر الحر الصادق الوطنية والانسانية محمد مهدي الجواهري مكانة خالدة من الاكبار ، فوق كل إعزاز لقيه من الاقطار العربية التي حل فيها .

وبعد ، فما من قصيدة لهذا الشاعر الفحل إلا وهي مشرقة بأطياف وألوان فنية عديدة، وما من قصيدة له إلا وهي برهان دامغ على ان الشاعر المطبوع القدير المتضلع من لغته لا يخضع للقافية ولا للفظ، بل انها طوع قلمه طواعية اللازب(١) لأنامل المثّال، وما من قصيدة له إلا وهي صاحبة رسالة لجميع الاحرار، ودليل على أن الشاعر القمين بهذا الوصف حري اذا شاء أن يكون زعيماً ملهماً لبني قومه ولبني الانسان .

ومذ يستهل الجواهري ديوانه بقصيدته البديعة «حنين» الجامعة بين الرمزية والابتداعية لا يترك القارىء من خميلة إلا الى خميلة. استمع الى هذا الوصف الرائع :

> أرحنّ الى شبح يلمحُ بعينيّ أطيافه تمرحُ
> ارى الشمس تشرق من وجهه وما بين أثوابه تجنح
> رضيّ السمات، كأن الضمير على وجهه ألقاً يطفح
> كأنّ العبير بأردانه على كل « خاطرة » ينفح
> كأن بريق المنى والهنا بعينيه عن كوكب يقدح
> كأن غديراً فويق الجبين عن ثقة في «غد» ينضح
> كأن الغضون على وجنتيه يكنّ بها نغم مفرح!

وهذه القوة الوصفية كالمقدرة اللغوية البيانية ، الى جانب العاطفة الجياشة ، من ألزم خصائص شعره . ولكن لننظر في أيسر شعره الذي يريد ان يخاطب به الجمهور ولو باسلوب غير مباشر، وهذا مثال منه في نصرة العدل والمساواة والحرية:

> ألا قوة تستطيع دفع المظالم وإنعاش مخلوق على الذل نائم؟
> ألا أعين تلقي على الشعب هاوياً الى حمأة الادقاع نظرة راحم؟
> وهل ما يرجي المصلحون يرونه مواجهة أم تلك أضغاث حالم؟
> اذا رمت اوصافاً تليق بحالة تعرّفتها ضاقت بطون المعاجم
> هي الارض لم يخصص لها الله مالكاً يصرّفها مستهتراً في الجرائم
> ولم يبغ منها ان يكون نتاجها شقاوة مظلوم ونعمة ظالم!

وفي الديوان من الشعر الوجداني الجميل نماذج جمة، وكذلك من شعر الطبيعة كقصائده « دجلة في الخريف » ، و« وادي العرائش » و« يافا الجميلة » و« الأصيل على دجلة » ، وفيه من استيحاء التراث العربي ومن الأماني القومية نفائس ستحيا على الزمن. والجواهري في أصالة فنه وفي تفانيه بعبادته الشاملة الرفيعة هو من أولئك القلائل الجديرين بأن يدرسوا دراسة جامعة في كتاب بل كتب وممن لا يجوز أن تحدد نسبتهم بقطر معين ، ولو كان مسقط رأسهم .

نيويورك — احمد زكي ابو شادي

(١) اللازب : الطين الذي يستعمله المثال .

حبلى

☆

لنزار قباني

•

دمشق

☆

لا تمتقعْ !. هي كِلْمةٌ عجلى
اني لأشعر أنني ... حُبلى
.. وصرختَ كالملسوع بي
« كلا » ..
سنمزّق الطفلا
وأردتَ تطردني

واخذتَ تشتمني
لا شيء يدهشني
فلقد عرفتُكَ دائماً نذلا ..

وبعثتَ بالخدّامْ .. يدفعني
في وحشة الدربِ
يا مَن زرعتَ العار في صلبي
وكسرتَ لي قلبي
ويقولُ لي : مولايَ ليسَ هنا..
مولاهُ الفُ هنا ...
لكنه جَبُنا ..
لما تأكد انني حبلى ! .

ماذا ؟. أتبصقني
والقيءُ في حلقي يدمّرني
واصابعُ الغثيانِ تخنقني
ووريثك المشؤوم في بدني
والعار يسحقني
وحقيقةٌ سوداء تملؤني
هي انني حبلى ...

ليراتكَ الخمسونَ .. تضحكني
لمنِ النقودُ ؟. لمنْ .. لتجهضني!
لتخيط لي كفني
هذا .. اذن ثمني ؟
ثمنُ الوفا يا بؤرةَ العفَنِ..
انا لم أجئكَ لمالِكَ النتِنِ..
شكراً ..
سأُسقط ذلك الحملا ..
انا لا أُريد له أباً نذْلا ..

قصة

التراب

بقلم محمد ابراهيم دكروب

من اسرة الحلل المهم

المطر ينصب من السماء كأنما يغسل الارض من آثامها ، والاطفال في الكوخ يئنون من البرد والجوع ويرتعدون من اصوات الحشرات تنبعث من هنا وهناك ، وفي ناحية اخرى من البلدة، في زقاق طويل مظلم رهيب ينتهي بغرفة صغيرة ضيقة، كان محمود يجتمع مع رفاق له يتهامسون ويتدبرون امر فعل ستضج منه المدينة اذا ما كان الصباح ، اما خطار فقد كان يتمرغ في احضان جثة من الجثث البضة التي تسكن ذلك الحي المظلم المضاء بمصابيح حمراء ... وكان الصمت الغريب يسيطر على « ساحة البرج » في بيروت ، و« ابو خطار » يجلس على عتبة « الباريزيانا » وهو يرتجف ويتمخط ويسعل ويتامل خيوط المطر تنصب على الارض ثم تتجمع وتندفع سيولا في اتجاهات عدة تجرف امامها كل شيء، وباعة الفلافل والحلويات الرخيصة والكستناء المشوي يحشرون اجسادهم وعرباتهم تحت الخيمات والواح الصفيح، ينادون بين حين وحين باصوات رهيبة تنطلق وسط هذا الهدوء الغريب معلنة عن بضاعتهم الكاسدة ، وصوت صمار السيارات يتعالى من بعيد: « عالصنايع.. عالرمل »..

وابو خطار يتأمل المطر ويتامل ابريق الشاي الكبير الرابض امامه تحيطه كؤوس من النحاس ذاب طلاؤها فبدت ملطخة ببقع سوداء ، والبخار الابيض يتصاعد من فوهة الابريق ويتلوى في الفضاء ثم يبدده الريح ... تماماً كحياته... كحياة الملايين من امثاله ، يولدون ويتعذبون ثم يدفنون في التراب حيث تتعفن اجسادهم وياكلها الدود ... الدود ! ... البشر دود !... اولاده في الكوخ ينتظرون عودته وهم يتلوون من الجوع كالدود !.. وابنه محمود يسعى في الظلام وتحت المطر من فعل « الدود » مصدر هذه الآلام !.. وابنه خطار يسير في الازقة ثملا معربداً ويتجول دائما في ذلك الحي المظلم المليء بالدود !... والدود ينغض في صدره ويقطع رئتيه فيسبب له آلاما عظيمة... ويتمخط ويسعل ويتطاير في الفضاء فتات دموي احمر، واصوات الباعة تنبعث رهيبة من هنا وهناك وصوت صج لمغنية ثقيلة يترامى من صالة بعيدة ، وهو يرتجف ، يرتجف بشدة ، يتامل المطر والسماء : اما لهذا السيل من خير ؟.. ويهز رأسه ويتأفف ويعود فيردد : « كل شيء من الله خير ... كلها يومين ومنروح ... منرتاح ...» ويتصور حالة الموت الرهيب.. اولاده في الكوخ يتلوون من الجوع ، وهو في جوف التراب لا يحس بشيء ، وابنه محمود عاطل عن العمل ، يحارب الفساد ويعيش مع رفاقه في همس دائم ، وابنه خطار في الازقة ثمل يترنح ، وزوجته تغسل ثياب الناس ، تتعذب وتبكي .. وهو جامد ميت تحت التراب !

المطر ينصب من السماء.. وابو خطار يتأمل البخار المتصاعد من فوهة إبريق الشاي ، وجسده يهتز ، ودمعات حارة تفر من عينيه، وهو يجاهد ليبعد عن مخيلته شبح الموت الرهيب .. لا !.. لا يريد ان يموت ! ان يأكل جسده الدود ويجوع اطفاله وتبكي زوجته ، يريد ان يبقى حياً كما هو ، يتمخط ويسعل ويبصق دمه على الارض ويخرج في الصباح من ذلك الكوخ البعيد حاملا ابريق الشاي يتجول به في الازقة والشوارع وهو يرسل طقطقات رتيبة رنانة من فنجانين حملها بين اصابع يده اليسرى وينادي بصوته الاجوف المرتجف ، والبرد يلسعه وهو يسير ويسير ، وحوله اطفال الشوارع يصخبون ويهزجون، واسمالهم البالية والتراب يلطخ وجوههم والذباب حول عيونهم وضحكاتهم وقفزهم امامه .. والحاج ابراهيم صاحب الدكان الصغيرة في ذلك الزقاق الموحل يناديه صباح كل يوم ، فيدخل الى دكانه التي لا تكاد تسعهما معاً ، يصب له كأساً من الشاي ولنفسه كأساً اخرى ، ثم يجلس معه يستمعان الى تلاوة القرآن من مذياع خلف نافذة الجيران ، وبعدها يتحدثان عن « ايام العز في الشباب » وعن الحكومة والاضرابات ولبنان وفلسطين، ويذكر ابو خطار مزرعته في تلك القرية الرابضة على بقعة عظيمة من ارض فلسطين يموج فيها القمح الذهبي، وفي الليل الهادىء الجميل تقام السهرات حول الموقد وتتدفق الحكايات من افواه طاهرة، ثم يتحدثان عن النار واليهود والاشلاء واللاجئين امثاله ، وعن البطالة والجوع والمظاهرات و« الكفر » الذي سبب كل

هذه المصائب... وينتهيان من أحاديثهما فينهض ابو خطار ويتناول بيده المرتجفة عشرة قروش يدسها في جيبه ثم يخرج من دكان الحاج ابراهيم ليواصل سيره وسط الاوحال والقاذورات واصوات اطفال الشوارع ، منادياً على الشاي بصوته الاجوف المرتجف وهو يطقطق بالفناجين فيطوف رنينها في الفضاء ثم يدخل النوافذ والكوى في اعلا الجدران... ويصل الى الطريق العام العريض حيث السيارات الملونة تمر وتمر وتمر كانها عفاريت.. اعوذ بالله من اهل هذا الزمان ! .. ويصل الى المحطة ، وترام يروح وترام يجيء واجساد وروائح واصوات الترام، والترام يفرز الاجساد، والترام يلتهم الاجساد ويغص بها فتتشبث باطرافه كانها ذباب، ويجلس ابو خطار امام « الكلية » غير بعيد عن المرحاض العام ، امامه إبريق الشاي وحول الابريق عمال واطفال وجوههم سمراء وصفراء وشعرهم مشعث وثيابهم ممزقة مرقعة ملونة قذرة قذرة.. والروائح العفنة تتصاعد من الثياب والقاذورات والمرحاض وبخار الشاي يتلوى في الفضاء ثم يتبدد كحياته ... ويتناول من الاصابع الصفراء الهزيلة وريقات نقود مهترئة يدسها في جيبه ، ثم يغسل الكؤوس النحاسية التي تمتلىء وتفرغ ، يغسلها كلها بيديه يصب عليها ماء بارداً بارداً لاسعاً كانه ذوب الثلج ، ثم يتحدث مع العمال فيشكو لهم ويشكون له : الحالة ضيقة والشغل قليل والرزق خف والناس « كفار » ملاعين والحكومة لا تشعر بكل هذه الاشياء ... وترام يروح وترام يجيء، واجساد تصعد واجساد تهبط ، واصوات وضجيج ، والعمال ينتهون من شرب الشاي ويتجهون نحو الترام يتشبثون باطرافه ، وتعنف رائحة المرحاض والقاذورات ، ويتقدم الوقت فينهض ابو خطار ويحمل إبريق الشاي يتصاعد من فوهته البخار ، ثم يجاهد ويكافح حتى يدس جسده ، هو الآخر ، في زحمة الترام بين الاجساد ، ويضع الابريق في الزاوية ثم يصغي لتعليقات الناس على هذا الزحام الهائل ، والضغط يشتد على جسده وصدره يؤلمه وقلبه ، ويشمئز من رائحة العرق تبخرها الاجساد من حوله ، ويشعر بالجوع وبالتعب... والترام يصخب ويضج في سيره ويعلو ويهبط حتى يصل الى « محلة السور » فينزل منه ابو خطار ثم يتجه نحو سوق « النورية »...

***

... المطر ما زال ينهمر ... تنصب خيوطه على الارض ثم تتجمع وتندفع سيولا في اتجاهات عدة تجرف امامها كل شيء... والبخار يتصاعد من فوهة الابريق ، وابو خطار يرتجف وهو جالس على عتبة « الباريزيانا » في « ساحة البرج » .. برد .. برد .. وصدره يؤلمه ، وسيارة تمر مسرعة ، والارض السوداء تبرق تحت الانوار ، ورجل يقطع الطريق وهو يركض تحت المطر .. وابو خطار يسعل ويتمخط ويشعر بالجوع .. واطفاله ايضاً جياع يكون .. ويذكر كيف يلف الازقة والشوارع يبيع الشاي ليأتي لهم بالطعام .. ويتامل الكيس الاسود الذي وضعه بجانبه : في داخله نصف اوقية جبنة بيضاء وسبعة ارغفة وسبعة اقراص فلافل اشتراها صباح اليوم من ذلك المطعم الشعبي في شارع « المعرض » ... الناس يدخلون ويخرجون ورائحة الفلافل تعبق في الجو والحمص الشامي والفول المصري والبطاطا المقلية ، وهو يدخل المطعم ، ويطلب من « ابي انيس » ثلاثة اقراص من الفلافل ، ثم يجلس على كرسي وراء طاولة ملونة انتثر فوقها فتات خبز يابس ، والخادم يروح ويجيء ، والدخان يملأ فضاء المطعم، وافواه تمضغ وتمضغ واجواف فارغة واجواف تمتلىء ... والخادم يأتيه باقراص الفلافل فيهجم عليها يأكلها بشهية ، يرش فوقها البصل و « الحر » ... وتختفي في جوفه اقراص الفلافل ، فينهض ويمسح يديه بملابسه ثم يتقدم من « ابي انيس » فيناوله بضع وريقات مهترئة من فئة العشرة قروش فيدس له بهذا سبعة اقراص من الفلافل في الكيس المرقع الاسود ، ويخرج من المطعم ليتجه الى سوق « النورية » وهو يطقطق بالفناجين منادياً على الشاي بصوته الاجوف المرتجف .. الارض موحلة والقاذورات هنا وهناك تتصاعد منها الروائح العفنة ، واصوات الباعة تنطلق بشكل فوضوي غريب من كل مكان .. والكؤوس تمتلىء ثم تفرغ .. وابو خطار يغسلها ، يغسلها كلها بيديه يصب عليها ماء بارداً لاسعاً كانه ذوب الثلج .. ثم يسير بين الاجساد التي تروح وتجيء وتضطرب بين ركوم البرتقال واللفت والملفوف، والاطفال تأكل وجوههم الاوساخ، يجوسون بين الناس وهم يتطلعون بنهم وحسرة الى جثث الخرفان تتأرجح مشنوقة بخطاطيف الجزارين .. والمذياع يصرخ بالـ« أوف» و « العتابا » ... ويهبط ابو خطار ذلك الدرج اللزج يكاد يتزلق في كل لحظة ، ينادي على الشاي ويطقطق بالفناجين ، ثم يصل الى دكان محمد المملوش بائع « الاجبان اللبنانية » فيصب له كأساً من الشاي يتصاعد منه البخار الابيض ، ويشم رائحة الاجبان تتصاعد من حوله ، فيمد يده يتذوق انواعها : « شقفة

جبنة خبا ، وشوية زيتون،وكاسة شاي... الله .. عشا ملوك ... ولا الخر من هيك »... والطفاله جياع وهو قد اكل الفلافل حتى شبع.. ويشتري نصف اوقية جبنة يلفها بورقة ملوثة ويلقيها في جوف الكيس الاسود المرقع ، ثم يتابع سيره وسط اصوات الباعة واضطراب الاجساد، ينادي على الشاي ويطقطق بالفناجين ولكنه يرى الباعة المتجولين وقد حملوا بضائعهم واخذوا يتراكضون تطاردهم شرطة البلدية ... ويحتار في امره ويلتفت هنا وهناك ! دقيقة واحدة ، وتصبح بضاعته ملكا للبلدية !!.. ولكنه يسرع فيدخل دكان « رؤوف متيرك » بائع الاحذية ، وعندما تنتهي المعركة يخرج من الدكان ويتابع سيره مطقطقاً بفناجينه ، ثم ينحرف الى شارع آخر حتى يصل الى ساحة السمك ... ويتذكر ان وقتاً طويلا مضى عليه لم يذق خلاله طعم السمك ، ويتحلب ريقه ويتلمظ بينا الرائحة الحادة تعبق في دماغه ، ولكن السمك غال والزيت والكاز واولاده السبعة والنقود المهترئة التي تستقر في قاع جيبه لا تكفي .. فليسلم امره اذاً الى ربه !.. ويجتاز ساحة السمك اللزجة الموحلة ثم يدخل زقاقاً مظلماً طويلا كمغاور الاساطير ، على جانبيه اقفاص كبيرة ملأى بالدجاج وبجانبها صناديق ملئت بالبيض ، الروائح تعبق وروث الدجاج يملأ الارض ، والريش الناعم الصغير يتطاير في الفضاء ، وصياح الديكة وقوقأة الدجاج ، والبيض ، آلاف البيض يلمع هنا وهناك ... ويتخيل النار تزفر والسمن يغلي والصفار يختلط بالبياض والخبز الابيض الطري والبصل وتلك النكهة الحلوة الشهية اللذيذة !... ولكنه فقير واطفاله جياع وكوخه قذر ... ويطرد عن مخيلته كل هــذه الصور ... ثم يهز رأسه باسى وهو يردد : « شو منعمل ؟.. قسمتنا هيك ».. ويطقطق بفناجينه ويصب الشاي في الكؤوس ويلقي الشاي في الاجواف ثم يغسل الكؤوس كلها بالماء يصبه على يديه بارداً لاسعاً كانه ذوب الثلج .

... وبين قوقأة الدجاج ، وصياح الديكة ، وعبق الروث .. يتابع ابو خطار سيره في ذلك الزقاق الطويـل الغريب كانه مغاور الاساطير ...

***

... المطر يخف ويهدأ ... وابو خطار يرتجف في مكانه على عتبة « الباريزيانا » يتأمل البخار المتصاعد من فوهة الابريق بينا يلف « ساحة البرج » صمت غريب .. وهو يتمخط ويسعل ويحس بان في صدره اشياء تتقطع وتتفتت ... ويشعر بالضيق وبالنعاس وبالجوع ... والطفاله في الكوخ يتألمون ...

الليل يمضي ، والمطر قد هدأ تماماً .. لم يبق هنـاك سوى هواء بارد لاسع يزمجر بين الشوارع .. وابو خطار يتحامل على جسده المتعب ، وينهض ليحمل الابريق بيده اليمنى وكيس الطعام الاسود بيده اليسرى ، ثم يتنحنح ويتطلع الى السماء ويتأمل « ساحة البرج » الهادئة .. ويسير ..

مرحلة طويلة طويلة مملة عليه أن يقطعها !.. وهو تعب تعب مرهق ، صدره يؤلمه ورأسه وبطنه ، وقدماه تكادان تتكسران تحت جسده الناحل وحمله الثقيل .. ولكنه مع هذا يسير وسط الهواء والظلام ، لقد تاخر اليوم .. أخره المطر . وعليه أن يصل الى كوخه البعيد ليطعم اطفاله ، كم يحب اطفاله هؤلاء .. ولكن ابنه خطار النمل دائماً، وابنه محمود القلق دائماً، لماذا لا يحملان عنه بعض هذا العبء ؟.. يعاونانه في إطعام إخوتهم الصغار ؟.. محمود : إنه طيب القلب حقاً ، يحب اخوته ويحب والده وامه، بل ويحب كل الناس.. ولكنه ــ مذ جاؤوا الى بيروت ــ وهو دائما يبحث عن عمل شريف يعيش منه ، وما ان يجد هذا العمل ويشتغل به عدة ايام حتى يتركه قائلا ان « معلمه » لا يريده !.. مسكين محمود.. لا يعرف الحياة ، ولا يعرف كيف يعيش مع ابشر .. بل انه يسخر من والده كلما اخذ ينصحه ، ويدعوه لان يطأطئ رأسه امام الناس ويتحمل منهم كل إهانة ويلاطفهم بما استطاع خصوصاً وان « المثل » يقول « اللي بجوز الكلب ، يقلو يا سيدي .. »!! .. ولكن محموداً لم يكن يصغي الى هذه النصائح ، بل كان يهز رأسه بألم ويخرج من الكوخ والحقد الهائل يملأ صدره كانما يريد ان يدمر كل شيء .. وخطار ؟.. لعنة الله عليه وعلى الساعة التي أتى فيها هذه الدنيا !.

مسكين !.. كم كان عاقلا مهذبا ، ولكن اولاد السوء ، حثالة الناس ، اغروه فعلموه شرب الخمر وتعاطي المخدرات ولعب القمار ورهان السباق ! حتى اصبح شرساً حاد الطبع ، ينغمس مع آلاف من امثاله في الوحول والدسائس والمؤامرات الدنيئة للحصول على المال !.. المال الذي يعبده الناس في هذه البلاد ، والذي اشتدت الحاجة اليه أمام غلاء فاحش وبطالة رهيبة انتشرت بعد اندفاع سيول امثاله من لاجئي فلسطين الى البلدان العربية .. فلسطين !.. فلسطين !..

وعصفت الذكريات في اعماق أبي خطار .. وهز رأسه وهو يسير في شارع مظلم حاملا إبريق الشاي والكيس المرقع الاسود، ولكن صدره يؤلمه ورأسه وقلبه وقدماه .. وتهب الريح باردة مزمجرة ، ويسعل ويشعر باشياء في صدره تتفتت ، ويتعثر فيكاد يقع بحمله الثقيل على الارض الموحلة، ويحس برغبة جامحة تدعوه لان يترك هذا الحمل ويتمدد على الارض ينام ، تنشق الارض وتبتلعه ثم يلتحم فوقه التراب .. التراب العظيم الذي نشأ فيه وترعرع في احضانه .. كان يحب من خيراته أياماً كانت له بلاد وايام كانت له ارض كلها تراب .. كانت السنابل تنبثق من اعماق الارض وتشمخ برؤوسها تتحدى الجوع .. وكانت سهول الذهب تمتد وتمتد حتى اللانهاية .. وضيعته الوادعة رابضة فوق تلك التلة الرائعة من أرض فلسطين !.. كان كل امله في الحياة ، بعد تربية اطفاله ، ان يموت في تلك الضيعة ، ويدفن في اعماق ترابها الطاهر العظيم .. كان ينهض عند الفجر وصوت المؤذن يتجاوب في الفضاء ، فيؤدي صلاة الصبح ، ثم يشرب الشاي مع زوجته ، ويخرج ليحرث الارض او يبذر الحب او يحصد القمح .. محمود ابنه ، كان ينتهي من المدرسة عند العصر ويأتي ليساعده، وخطار كان يقف على النورج حاملا « المساس » بيده ينهر « الفدان » فيدور به يدرس السنابل التي تتحول الى حبات من الذهب الالهي الثمين، وزوجته تطبخ لهم وتساعدهم، وأطفاله وجيرانه وسهرتهم الممتعة في الليل تحت ضوء القمر او داخل البيت حول الموقد يحكون الحكايات ويروون الاساطير .

... الريح تزمجر في ذلك الشارع المظلم الطويل .. والرجفة تسري في جسد ابي خطار ، والدموع تنهمر من عينيه، واشياء تتفتت في صدره وألم هائل ينتابه، وضجيج وذكريات وصور : عويل وصراخ وبكاء ورصاص، وقنابل تنفجر ، واشلاء اللحم وبيته يندك ، وهو يهرب مع اطفاله ، والجنود اليهود والدم ومحمود يحارب وخطار يحارب وزوجته تولول واطفاله يصرخون والألم يضج في رأسه وصدره .. والتراب يجبل بالدماء، والخوف والرعب ، واصوات وصيحات وأيد تتطاير وجماجم تسحق ، ونيران ودخان وضجيج واشلاء ..

... وتغيب القرية عن عينيه ...

... وتغيب بعدها فلسطين !..

... ويأتي ابو خطار بباقي اولاده الى بيروت ، حيث الفقر والجوع والدوران الممل على عمل ، وعشرات الخيام الممزقة المهترئة تنتشر في ضاحية المدينة تحت المطر ، وتمتلىء بالاف الاجساد التي تتلوى من الجوع كالدود .. ووجوه اطفاله تصفر وزوجته تغسل ثياب الناس وخطار يعاشر اولاد السوء، ومحمود يمتلىء بالحقد ويندفع مع رفاق له في الليالي المظلمة الممطرة يجوبون الشوارع ويجتمعون في غرفهم الضيقة يتهامسون .. والجوع .. الجوع يحوم حول الاجساد بشبحه الاسود المرعب ، والروائح العفنة في الاكواخ القذرة ، واطفاله جياع ينتظرونه الان وهم يتلوون كالدود .. وهو تعب تعب مرهق .. في صدره اشياء تتفتت .. ويسعل ثم يبصق دمه على الارض .. والريح تزمجر ، والظلام يحيط به من كل جانب ، والتراب من تحته والاشجار من حوله .. وكوخه هناك .. في آخر الطريق الموحل الطويل ..

قلبه يؤلمه .. والسماء تسود فتتلبد بالغيوم ، ويشع في الظلام برق خاطف ينطلق على اثره صوت الرعد كدوي المدافع ، وابو خطار يترنح وسط العاصفة ، ويحس بالرغبة في ان ينام... يدفن جسده في التراب.. التراب والقمح واليهود والدم واطفاله الجياع.

وتتساقط الدموع من عينيه، ويتطلع الى السماء الغاضبة يستجير بها من الالم الهائل الذي يعصف في صدره ، ويحس بثقل في جسده وارتخاء في مفاصله ، وبتعب ، تعب هائل ، وسلاسل من حديد تكبله وتضج خلفه وهو يسير. إنها ثقيلة ، ثقيلة ، مرهقة تجذبه الى الارض بقوة جبارة فاذا هو يقع متخبطا بالوحل وبالتراب، ويتدحرج إبريق الشاي والكؤوس النحاسية، وتتناثر الارغفة وأقراص الفلافل السبع ، وتلمع في الظلام قطعة الجبن البيضاء ، ويشعر بوجهه وقد غرق في التراب الموحل ، وفمه يمضغ .. يمضغ التراب والدموع والدماء التي تنبثق من فتات صدره .

والمطر ينهمر ويعنف ، والبرق يشع ، والرعد يضج ، والظلام يتكاثف ويتكاثف، وماء المطر يغسل التراب عن وجه ابي خطار ...

محمد ابراهيم دكروب

تجرد الروح

☆

يا مديرَ السلوان أين سُلافي كان أتقى لو جدتَ بالانصافِ
قِسمةٌ القيتَ إليّ وهـذي حلوة أستميرُها لزعاف
يُمزج الحزنُ بالسرور فيمسي سائغاً فابغني المزاج المعافي
لو كرعتُ الأنهار ما انطفأ الشجوُ وهل للهوى المشتت شاف
أقتل الحب أن تكاتم فيه وترى النجم دونه في المطاف
بسماتٌ كلمحة الخلد مرت في خيـالي موّاجـة الأطياف
قال للنيرين قلبي خلّفتُ على الجانب القريب شغافي
بعضُ صبحٍ ليلٌ، وهل كان عمري غيرُ نور يغيب في الأسداف

***

يا ابن دنيايَ كلنا نتساوى لؤلؤاً صافياً مع الاصداف ،
يومَ يفنى بغيُ الطغاة ويبقى الخبز قِسمَ الدناة والاشراف
إسألِ النجم في الثرى وأخاه في السماوات عن هدى العرّاف
نحن صرعى الظنون في اليمّ فاضرب حيثما شئتَ وارمِ بالمجداف
لا حبيبٌ وفى، فلمِ بعداً أو صدودٌ أقلّ في الاسراف
كان مسرحُ الخيال أدنى فدعه يتمثلْ وجهَ الحبيب الجافي
ملء عينيكِ لمعةٌ كان فيها عالم الشعر في المدى الشفاف
ما السهوبُ التي تدوي ولا الأجواز حالت دون الشعاع الموافي
عند تفتحِ الربيع حسبي أني أبتغي زهرهُ بغير قطـاف

***

أكرِمِ الروحَ بالتجرّد حتى تتحلى بثوبها المتهافت
كفقيرِ الهنود رقّ هياماً فتجلى لعينه كل خاف

القاهرة — زكي المحاسني

الدكتور احمد زكي ابو شادي

بقلم محمد عبد المنعم خفاجي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر

مفكر ثائر وشاعر ثائر وناقد جريء، وداعية من اكبر دعاة التجديد في الشعر العربي المعاصر ذلكم هو الدكتور أحمد زكي ابو شادي العبقري الفذ، والشخصية الموهوبة، والحر الابي الذي أعلن الثورة على التقليد والجمود والعبودية الفكرية في كل مكان، وصرخ في وجه أمراء الشعر: كشوقي وحافظ وسواهما ان اتركوا التقليد وسيروا الى الامام وانقذوا الشعر من قيوده الثقيلة المعوقة له عن متابعة الحياة والسير في مواكبها، وتغذية العواطف والسمو بالمشاعر، والانطلاق وراء المثل العليا، والسير مع الذوق والطبع والعقل.

يرى ابو شادي ان كل شعر فنيّ جميل أصيل، مهما كانت بحوره وقوافيه، ما دامت موسيقاه ملائمة لموضوعه، فهو حبيب الى نفسه وذوقه.

ولم يسأم ابو شادي طول حياته من الدعوة الى الاصالة والفطرة الشعرية والعاطفة الصادقة والى الابتعاد عن الافتعال والتكلف والتصنع، والى الوحدة التعبيرية وانطلاق النفس على سجيتها والتناول الفني السليم للفكرة والموضوع والمعاني. وكلما طابق الشعر هذه المبادىء، فهو في رأيه شعر مقبول، جميل كيفما كان قائله، والعصر الذي يعيش فيه، ومن ثم لم يمل أبو شادي من الدعوة في شعره ونثره الى الحكم على العمل الفني والقصيدة الشعرية قبل الحكم على الشاعر نفسه، ولذلك كان ابو شادي أبعد الناس تعصباً لمذهب او مدرسة او عصر او جماعة دون غيرها، متى كانت للاخرى مؤهلات فنية جديرة بالتقدير، كما نرى في طرائف الشعر الجاهلي:

ولد ابو شادي عام ١٨٩٢ ميلادية، وكان والده من اقطاب الحركة الوطنية في مصر، ومات شهيداً في سبيل مبادئه. وقد احب طفله الصغير لما لمس فيه من الذكاء والنبوغ المبكر، فعني بتربيته عناية فائقة. ودخل أبو شادي المدارس الابتدائية فكان من اوائل الناجحين فيها، وتنقل في المدارس الثانوية، وكان من المدارس الثانوية التي عاش فيها مدرسة التوفيقية المشهورة بتبريزاً. وظهر نبوغه في الآداب واللغات بصورة واضحة، مما جعله موضع اعجاب اساتذته واقرانه.. ودخل كلية الطب فدرس فيها وعاصر النهضة الادبية التي كانت قائمة في القاهرة، وسمع آراء الادباء المعاصرين له في النقد والادب والحياة، وقرأ قصائد الشعر التي كانت تنشرها الصحف والمجلات لشوقي وحافظ ومطران وسواهم، فبدأ يحب الشعر ويتذوقه وينقده ويقبل على قراءته ونقده ونظمه.

واكمل أبو شادي دراسته، وتخرج طبيباً يعمل في مستشفيات الحكومة، ثم سافر في بعثة دراسية الى انجلترا، فزاد اطلاعه على الآداب الانجليزية خاصة والغربية عامة، وعاد الى مصر يحمل بين جوانحه قلباً مملوءاً بحب التجديد والدعوة اليه.

تنقل ابو شادي في وظائف الحكومة بين الاقاليم والاسكندرية والقاهرة(1) وعني بدراسة تربية النحل في مصر والتأليف في هذا الموضوع، كما شغل به عملياً، وظل كذلك حتى كان استاذاً بكلية الطب بجامعة فاروق الاول بالاسكندرية فوكيلا لها.

هذا هو ابو شادي الرجل. اما أبو شادي الاديب فشأنه عجيب، فقد اخذ يهاجم في عنف وقوة زعماء المدارس الادبية في مصر، وينعي عليهم جمودهم وتقليدهم، كما اخذ ينظم الشعر مجدداً

---

(1) كان ابو شادي موظفا في الاسكندرية قبل عام ١٩٢٨، ولما نقل في هذا العام الى القاهرة أقامت له الجمعية الطبية المصرية وجماعة انصار الادب الجديد بالثغر حفلات تكريم في أواخر ديسمبر عام ١٩٢٨

فيه مطلقاً له من قيوده القديمة ، يفتح امامه آفاق الحياة والتفكير والتأمل ، ونشر عدة دواوين شعرية له احدثت ضجة ادبية كبيرة ، في وسط جماعات المشعوذين والمقلدين والجامدين والعاكفين على القديم الموروث، والحابسين انفسهم في قفص الاوهام والعبودية والاغلال الفنية المرهقة المؤدية لكل شعور حي ، واحساس عميق وفكر حر سليم.

ومن هذه الدواوين: الشفق الباكي، والينبوع ، وديوان الشعلة ، وديوان اشعة وظلال وقد نشره عام ١٩٣١ في ١٤٤ صفحة من القطع الكبير وطبع بمطبعة الشباب بمصر ، وكان يقيم حينئذ في ضاحية المطرية . وديوان « اطياف الربيع » وقد نشره عام ١٩٣٣ وديوان «الكائن الثاني» وهو مجموعة من شعره. كما اخذ ينظم الشعر القصصي الطريف ، وهو لون جديد في الشعر العربي المعاصر كان ابوشادي سباقاً الى النظم فيه ليخرج الشعر من سجن التقليد ، وليسير به مع الاداب الاوروبية جنباً الى جنب في طريق الحرية الفنية الاصيلة، ومن هذه القصص الشعرية الجميلة التي نظمها ونشرها ابو شادي ، قصة « مها » وقصة «عبده بك» التي نظمها الدكتور من بحر واحد وجعل كل بيتين من قافية . و «مفخرة رشيد» وهي قصيدة وطنية شائعة، وقصة «زينب» وهي نفحات من شعر الوطنية ، وقصة « الآلهة » وهي أوبرا رمزية ذات ثلاثة فصول ، و « نكبة نافارين » و « معشوقة ابن طولون » وسواها من القصص الشعرية الجديدة في الشعر العربي الحديث، وطالما كان ابو شادي يردد قوله :

وهل كان شعري غير إعلان مهجتي
وعشقي وإحساسي ولحني المردد

كما اخذ يكون مدرسة أدبية جديدة يتزعمها، ورسالتها الثورة على القديم والدعوة الى الحرية الفكرية والادبية والفنية ، والى تمثيل الشعر لخلجات النفوس ونبضات الافئدة وتأملات الفكر وهزات العواطف والمشاعر والوجدانات المختلفة وأنشأ ابو شادي ومدرسته مجلة «أبولو» الشعرية المشهورة في القاهرة لسان الدعوته ومذهبه ومدرسته ، فكانت اول مجلة تقف نفسها على خدمة الشعر العربي المعاصر والنهوض به والتجديد في دراسته واحياء روح الشعر الاصيل وتهذيبه مما علق به من اوهام التقليد والصنعة والابتذال وخدمة فن الشعر الذي كان ولا يزال أهم فنون العربية ، وخدمة رجاله وتحرير الشباب والشعراء والادباء من سيطرة الحكام والاحزاب السياسية

والمناسبات الطارئة والحاجات الوقتية الملحة ومن الاحتكار الادبي الممقوت .

ولقد كان لدراسات ابي شادي في مجلة « أبولو » ولبحوثه المنوعة في النقد الادبي أثر جليل .. كان يمتحن نفسه فيها اشد امتحان، ولا يبالي بشيء مهما تعرض لنقد او تهجم ومهما اغضب الناس من حوله ، لانه كان لا يخسر ابداً احترام نفسه ورأيه وكان ينشد :

وما خفت في آن عتاباً وان قسا
به الناس ، لكني أخاف عتابي

هذا كله بجانب خدمته للتاليف العلمي في الاقتصاد الزراعي والنحالة والدجانة والصناعات الزراعية ، فضلا عن طب المعمل والبكتيريولوجيا ، ثم خدمته للتحرر الفكري والاجتماعي والديني بمحاضراته ورسائله المشهورة: «مذهبي» و « عقيدة الالوهة » و « رسالة محمد » و « لماذا انا مؤمن ؟ » و « المال في الاسلام » و « عظمة الاسلام» ، وخدمته القيمة لادب المقال بتآليفه النثرية المنوعة ولادب الترجمة بترجماته الخصبة لامثال «العاصفة» و «رباعيات حافظ الشيرازي» و « رباعيات الخيام » وسواها .

لم تستمر مجلة « أبولو » طويلا، لان الجو الادبي في مصر إبان ذلك العهد كان مثقلا بالقيود والاغلال والجمود، ولم يكن يهضم أمثال هذه الدعوة الجريئة ، دعوة التجديد بكل ما تشتمل هذه الكلمة عليه من معان. فنقل أبوشادي الى الاسكندرية واقام بهـا ، ولكنه لم يوقف نشاطه الادبي ، فاخذ يخرج مجلة «أدبي» ومجلة « مملكة النحل » ، وساعد على اخراج مجلة « الامام » واسهم مساهمة واسعة في حياة الاسكندرية الادبية ، واخرج في

الاسكندرية ديوانه المشهور «عودة الراعي» عام ١٩٤٢ وتفرغ لاعماله العلمية والدراسية التي كان يحتم عليه منصبه القيام بها، حيث كان يعمل استاذاً للبكتريولوجيا بكلية الطب بجامعة فاروق الاول ومديراً للعمل البكتريولوجي بالمستشفى الحكومي وله كتاب ضخم في تربية النحل في أكثر من ٩٠٠ صفحة، ومحاضرة في الموضوع نفسه عنوانها «انهاض تربية النحل في مصر». ومن الانتاج الادبي الاصيل الذي اخرجه الدكتور قبل هذه الفترة، دراسته عن المتنبي وعنوانها «الطبيعة في شعر المتنبي».

وفي الاسكندرية توفيت زوجته عام ١٩٤٦، فحزن عليها حزناً عميقاً ورثاها بقصيدته العمقية الخالدة:(١)

ماذا تفيدك لوعتي وبكائي
هذا فناؤك مؤذن بفنائي

وبدأ يزيد شعوره بالاضطهاد الفكري والادبي في مصر، وبانه غريب في وطنه وبيئته، فهاجر من مصر الى نيويورك في ١٤ ابريل عام ١٩٤٦، ورحبت به الجماعات الادبية في امريكا أيما ترحيب واخذ يحرر في الصحف والمجلات العربية في امريكا ومن بينها جرائد «الهدى» و«الاصلاح» و«السائح» و«نهضة العرب» كما اخذ يحاضر من «صوت أميركا» مرتين في الاسبوع واسس «رابطة منيرفا» الشعرية الادبية على غرار جمعية «أبولو» كما اختير عضواً لمجلس الرابطة الدولية لحقوق الانسان واحترمته الحكومة الاميركية والجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية وجمعيات الشعر والادب في العالم الجديد. ودعي ليحاضر عن الادب المصري الحديث، وانتخب استاذاً زائراً للادب العربي «بمعهد آسيا» بنيويورك.

وقد عمل اول هجرته الى نيويورك مستشاراً للحكومة السعودية في الامم المتحدة فمستشاراً للوفد الاريتري في ثلاث دورات متوالية منذ بدء اعمال هيئة الامم المتحدة في نيويورك. وقد نشر ابو شادي عام ١٩٤٩ ديوانه الشعري الجديد «من السماء» في مائة وستين صفحة وطبع بمطبعة جريدة «الهدى» اليومية بنيويورك، ويجمع شعر أبي شادي من عام ١٩٤٢ حتى عام ١٩٤٩، وقد نشرت «المقتطف» في عدد مايو ١٩٥١ دراسة وافية لهذا الديوان بقلم محمد عبد المنعم خفاجي. وفي الديوان مرثية ابي شادي الرائعة في رثاء خليل مطران الشاعر (٢) وقد أهدى ابو شادي نسخ الديوان كلها لحكومة فلسطين لحساب اللاجئين العرب.

وفي اثناء اقامة الدكتور ابو شادي في نيويورك، أعد ديواناً جديداً لنشره حتى صحت الاحوال، والف عشرات الكتب التي لا تزال مخطوطة لم تطبع بعد، ومن بينها كتابه الرائع «من نافذة التاريخ» وهو احاديث مختلفة عن الفكر الانساني، وسينشر في القاهرة قريباً، وتألفت في القاهرة جماعة من الادباء لنشر تراث ابي شادي الادبي والفني والفكري، وكتبت الصحف والمجلات المصرية عشرات من المقالات ينعي كاتبوها فيها عن مصر وحكومتها عقوقهما لابي شادي الاديب العبقري المصري العظيم، واخذ الادباء والشعراء من الشباب يشعرون شعوراً صادقاً بفضل ابي شادي على النهضة الادبية والشعرية الحديثة.

ولا يزال هذا الاديب العظيم والشاعر المجدد والمفكر الحر مقيما في نيويورك، يغالب المرض والمرض يغالبه، ومع ذلك فهو لا ينقطع عن الكتابة والتاليف والمحاضرة والاذاعة من «صوت اميركا» والاتصال بتلاميذه واخوانه في شتى البلاد العربية والعالم كله.

ان القلم ليشعر بالعجز عن الكتابة في ابي شادي وشاعريته ودعوته التجريدية التقدمية وتراثه الفكري والادبي الخالد، لان ابا شادي أكبر من ان يحيط بجوانب عبقريته اللسان، واعظم من ان يصور حقيقة اثره على النهضة الادبية بيان.. متعه الله بالصحة.

ولا ننسَ اخيراً ان نقول انه قد الف عن ابي شادي ودراسة شعره كتب كثيرة:

١ - فالكتاب الاول هو نظرات نقدية في شعر ابي شادي، للاستاذ حسن صالح الجداوي وهو بالعربية.

٢ - والكتاب الثاني بالانجليزية، كتبه الدكتور اسماعيل ادهم، ودرس فيه شخصية ابي شادي الادبية دراسة واسعة.

٣ - وقد نشر كتاب ثالث في القاهرة عام ١٩٣٤ بعنوان «ابو شادي في الميزان» كما نشر بحث قيم للشاعر احمد محرم عنوانه «ابو شادي - شعره في ديوان الشعلة» في ٦٤ صفحة.

ونحن ندعو الادباء من جديد الى دراسة هذه الشخصية القوية دراسة عميقة ملؤها الايمان بحوية النقد والفكر، وهدفها الحقيقة وحدها بعيدة عن العصبية والجهل والجمود.

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي

(١) ص ٨٩ - ٩٤ ديوان «من السماء» لأبي شادي.

(٢) ص ١٣٠ - ١٣٦ من الديوان

الى نغم قلق

☆

لفؤاد الخشن

من اسرة الجيل الملهم

☆

من تثيرين بها ؟
من توقظين ؟
نظرةً في عمقها
جوعُ السنين !
ولمن ، في المعصم الحلو ،
سوارُ الياسمين ؟

ولمن غمازةٌ ضمت
على فيه الحنين
ولمن أنتِ من الناس
ترى من تسعدين
أنتِ يا من أبداً
لا تهدأين
واديم الارض دوماً
تنقرين
نقرةَ الوجدِ
الذي لا يستكين
قلقَ العمر
على خيطِ السنين
ارقَ الوحي
ببال الملهمين
أنتِ يا من إن مشيتِ
ترقصين
أنتِ يا من إن حكيتِ
تطلقين
نغمةً مبحوحة الغنةِ
رعشاءَ الرنين !

***

من تثيرين بها ؟
من توقظين ؟
نظرةً في عمقها
جوعُ السنين
ولمن ، في المعصم الحلو ،
سوارُ الياسمين !

الشطائر الدسمة

بقلم شوقي بغدادي

من رابطة الكتاب السوريين

لن اشيد بمواهبي ، وان كان لا يؤمن بها شريكي في غرفتي « يوسف ابو اسماعيل » . ولكن الحق يقال انني شاب مثقف ، املك بعض المواهب، واتقن اللغة الانجليزية؟ وقد مارست تعليمها في ارقى بيوتات الشام. ومع ذلك، فها انذا الان هذا المساء اقف جائعاً مفلساً قرب « الاوتوماتيك » اشاهد الزبائن وهم يمضغون شطائرهم الدسمة ، وأتملى كيف يقضمون اللقمة اولا ، ثم يحكمون وضعها بين شدقيهم ، ويعلكونها بادىء الامر ببطء ثم لا يلبث الفك الاسفل ان يعلو ويهبط بسرعة . واتخيل كيف يسيل الريق ، فيبلل اللقمة حتى اذا تفتتت ، انحدرت في الحلق لذيذة مريئة .. وتحلب ريقي بدوره ، ثم دفنت يدي في جيوبي بعنف كأنني آمل ان القي في اعماقها ليرة مهملة وتابعت طريقي . وقبل ان ابتعد اختلست اذني هذا النداء الجائع : ـ واحد تقانق من فضلك ..

هل اذهب اذن ؟ ترى أسيعيدونني الى عملي ؟. لقد كان يحدثني بلطف بالغ، واذكر أنني تبينت وجهه رغم الظلام شاحباً، كوجه معلم فاجأه المفتش، وتبينت الى جانبه في المقعد الخلفي من سيارتهم «فايزة» تلميذتي النجيبة ، وامرأته الاعمى وتذكرت نوع النظرة التي رمقني بها «عبدالله» زميلي السابق قبل ان يمضي بسيارة مخدومه «البويك». هذه النظرة الجامدة القاسية التي تعني كل شيء ، ولا تعني شيئاً على الاطلاق .

هبت نسمة باردة ، وغمرت عيني أشعة سيارة قادمة، فرفعت ياقتي ، واقفلتها فوق صدري .

لماذا وقفت سيارتهم فجأة ؟ ثم سمعتهم ينادونني بلهفة. لو لم يكونوا بحاجة لي لما وقفوا . ترى أآمنوا بمواهبي اخيراً وتغاضوا عن غلطتي وقرروا ان يعيدوني الى عملي ؟! .

رأيت نفسي فجأة امام البناء الذي تقع فيه غرفتي ، وشعرت بجوع هائل فدخلت آملا ان اجد يوسف قد احضر شيئاً معه.

كان يوسف نائماً فهززته ولم افلته حتى أفاق في ذعر هاتفاً بي : ـ عادل.. ما هذه الدعابة السمجة !.

. فصرخت به ضاحكا : ـ انت .. الشاب الخامل .. والموظف البسيط، تنام هانئاً. وانا الشاب الموهوب أجوب المدينة وتتلقفني مصابيح الشوارع جائعاً لا اجد لقمة ؟. ماذا خبأت لي في خزانتك .

وقفزت الى خزانته ففتحتها . كان فيها رغيفان من الخبز وقطعة من جبن « الكرافت » ، فشرعت التهم وأثرثر :

ـ هل تعرف من اوقف سيارته اليوم في عرض الطريق وناداني ؟. علي بك .. وهل تعرف ماذا كان يريد ؟. يريد ان اقابله غداً مساء في بيته ..

وسمعت يوسف يقول لي : ـ هل تتكلم جاداً ؟.

فقلت له وانا ابلع لقمة كبيرة :

ـ الا تصدق يا لئيم . اذا كنت انت لا تؤمن بكفاءتي فان كثيرين غيرك يخالفونك في ذلك . انهم سيعيدونني الى عملي حتماً .. وسمعته يردف قائلا : ـ وماذا قال لك ايضاً ؟ .

ـ لا شيء .. كانوا كلهم في السيارة ولم يزد عن انه دعاني بالحاح لزيارتهم غداً. ماذا يمكن ان يكون سوى انه يريد ان اتابع تعليمي ابنته في بيته .

تحدثت كثيراً في تلك الليلة ، ونمت شبعان . من يدري متى سأظل شبعان اذا لم يعيدوني الى عملي . وهل يمكن ان أجد عملا بعد ان طردت من عند علي بك وفقدت سمعتي الطيبة في الاوساط الراقية.. لعن الله الشيطان . ما كان أغناني عن تلك البنت البلهاء ! .

في الغد ، وقبل الموعد بقليل كنت امام الباب الحديدي اضغط زر الجرس باصبع متوترة كأنني خطيب يزور بيت خطيبته للمرة الاولى . ولم يلبث الباب ان فتح ، فدخلت ، ومكثت في الداخل اكثر من ساعتين ثم خرجت مصمما ان لا اعود البتة . وان انسى ما حدث ، وان لا ارويه لانسان .

كان يمر لدن خرجت « اوتوبيس » المهاجرين مزدحماً بالركاب . وكان يشع في البناية المقابلة نور احمر من غرفة في الطابق الثاني . ولمحت خادماً صغيرة تركض في اتجاه دكان السمان القريبة، وسيارة سوداء وقفت على مبعدة هبط منها رجل وامرأة.

ها هو العالم يسير غير ملتفت لي.

من انا في الزحام..من يعبأ.. من يهتم .. ترى ماذا يدور خلف جدران هذه البيوت الان؟.وماذا يحدث في هذه الغرفة المضيئة الحمراء؟ تخيلت انني اشاهد كل شيء،وأرى امرأة تتعرى من ثيابها وتغوص في السرير. وشاباً في ثيابه المتزلبة يدلف بخطى لص الى المطبخ حيث تغلي القهوة خادم جميلة. وكأنني رأيت نفسي قد تزوجت حقاً من تلك البنت وصرت آوي الى احد هذه البيوت.

اخذت نفساً عميقاً، فقد كان نسيم الليل منعشاً. الان، يجلس ملايين من الشباب امثالي في غرفة دافئة ويمدون قدمهم فوق حشية طرية ثم يقولون في ارتخاء : لن اتعشى .. انا لست جائعاً اليوم !. وانا .. ارتجف من البرد في الشارع رافضاً ان اصاهر مخدومي لانه يعرض ابنته عرضاً شائناً. وتذكرت الغرفة الدافئة التي كنت فيها قبل دقائق. انني لن استطيع تجاهل ما حدث. هناك .. خلفي .. جلس امامي مخدومي السابق كأنه طفل مذنب يعترف، يفرك يديه ويلوك بين شفتيه كلمات منتقاة وتذكرت كيف فتح لي صندوق لفائفه الفاخرة وهو يحاول افهامي بلطف انني فقير، محتاج لهم، وانه يعرف ان احداً لن يستخدمني بعد الان. ثم يذكرني في خبث ووقاحة ان ابنته ليست غريبة عني، وانني احبها، وانني حاولت قبلا .. ولكنه سكت هنا ولم ينطق بالكلمة لانه يثق بمعرفتي اياها. ولم احاول ان اسأله عن المسؤول، ولماذا تخلوا عنه وتبعوا واحداً مثلي لانني كنت اعرف انه شخص منهم يعرف طريقة معاملتهم ويتقن التخلص من تبعة الجريمة كاللص الذي لا يترك بصمات اصابعه وراءه.

ويضحكني أنه مد يده لي فصافحته قبل ان اغادر البيت،وأنني ابتسمت وانا اعده بالتفكير بالامر. الحقيقة انني لم ارفض تماماً، ولكن ليس من المعقول في شيء ان أقبل واعود كما وعدت. ولكن ما الذي يدري الناس بالحقيقة. وماذا يهمني منهم فيما لو عرفوا !.. وابتسمت كانني اكتشفت خدعة ساذجة وتطلعت الى البناية المقابلة فرأيت الضوء الاحمر قد انطفأ، فوقفت قليلا كانني أتخيل ماذا يحدث هناك، ثم بلعت ريقي وسرت بلا اتجاه.

قال لي يوسف وكنا في فراشنا بعد ان سمع قصتي : ـ انت مجنون .. كيف ترفض مثل هذا العرض !. ألم تحاول مرة ان تغازل تلك البنت وطردت لاجل ذلك من البيت كله. الا تشتهي ان تنالها ؟ افرض انك واسطة لستر فضيحة. ماذا يضيرك ذلك بعد ان خسرت اسمك في السوق؟! ومن الذي يرضى ان يدخلك بيته بعد تلك القصة التي انتشرت عنك ؟! ستظل جائعاً .. عاطلا .. تافهاً .. غبياً ..

اجل ! سأظل كذلك يا عزيزي. اذا انت لم تؤمن بهذه الاشياء فانني ما ازال أومن بها ؛ ولكنني لم استطع ان انطق بهذه الكلمات، فقد خيل لي انها ألفاظ مضحكة اخادع بها نفسي. فاخلدت للصمت وسحبت الغطاء فوقي ولم أنم تلك الليلة. وعند الفجر غفوت قليلا، ورأيت فيما يرى النائم فتاة ساحرة الجمال، ضحكت لي ثم ركضت واشارت ان اتبعها. وعندما حاولت ذلك شعرت ان قدمي ثقيلتان كانما قد ربط الى كل منها حجر ضخم. ورأيت الفتاة الجميلة تبتعد وانا ما ازال انتزع رجلي من الارض انتزاعاً. وما ان استيقظت حتى شعرت انني متعب، فلازمت الفراش وطلبت من يوسف ان يحضر لي طعاماً، ولكنه تجاهلني ولم يعد حتى المساء. فاضطررت ان انزل مرغماً عند الظهر وابتسم لصاحبة البيت كي تطعمني من عندها

عندما عاد يوسف مساء كانت اول كلمة بادرني بها هي : الم تذهب بعد ؟ فكدت ابصق في وجهه وأرميه بالفاظ قاسية لولا انني تماسكت ثم ارتديت ملابسي وخرجت بلا هدف.

اختصمت انا وزميلي بعد اسبوع فحمل امتعته من الغرفة تاركاً إياها لي وحدي، فارتفع ايجارها بالنسبة لي وصارت صاحبة البيت تلاحقني بطلباتها. ولم تمض ايام حتى ادركت انني لن استطيع المقاومة اكثر من ذلك.

كنت وحيداً في الغرفة، وصار كل شيء يذكرني انني غبي كبير. وذات مساء صممت ان اذهب، فاستدنت من احد معارفي مبلغاً، نظفت به بذلتي الكحلية، و « نشيت » ياقتي، وذهبت للاقائهم كرجل كف..

كانت السماء صافية كانها ليلة صيف. وكان الهواء قارساً. وعندما وصلت كان هناك كلب مقرور يتمسح بالجدار وامام الباب كانت « البويك » واقفة وقد جلس وراء مقودها سائقهم « عبدالله » فحييته بحذر ثم سألته عن « البيك » فقال لي إنه في الداخل. ثم أردف بلهجة ساخرة : ـ لقد تأخرت قليلا يا استاذ !.

لم اجبه. ولكن، قبل ان اقرع الجرس رأيت الباب يفتح ويخرج منه علي بك فشددت قامتي واقتربت منه. الا انه ما كاد يراني حتى هتف بي : ـ اذهب من هنا ايها النذل.. فتسمرت في مكاني كمن يتهيأ لاغماء شديد. وخيل لي انه لم يعرفني، فحييته بلهجة خافتة، إلا انه صرخ من جديد مخاطباً السائق :

ـ أطرد هذا الرجل من هنا يا « عبدالله » ..

ولمحت عبدالله يهبط من وراء مقوده ثم يقترب مني، فتراجعت نحو الشارع كالمذهول، وقبل ان ابتعد التفت خلفي، فشاهدت ابنته

بحث في الموسيقى الشرقية

بقلم نقولا الحداد

الموسيقى فلسفة وعلم وفن

فهي اذن بنت الطبيعة والفكر والاجتماع .

فلا بدع ان يعنى بها الفلاسفة والعلماء واصحاب الفن ويضعوا لها قواعد وقوانين ، بل هي اولى من كل ظاهرة كونية للدرس والتقرير والاستنباط .

والصوت منذ القديم من قبل التاريخ مستند الانسان في التعبير عن عواطفه واميـاله وآماله . هو اصدق آلة التعبير . فبالاحرى ان تكون الانغام والالحان اداة التفسير لما يطرأ على النفس من شعور داخلي . ولا بدع ان يتصدى علامة في الانغام لشرح القوانين الموسيقية من جميع نواحيهـا ويبحث البحث الفلسفي في شئونها ويدرس الدرس الفني للانغام والالحان والتطريب .

لا بد ان يتصدى لهذا البحث العلامة الاستاذ ميخائيل خليل الله ويردي فيؤلف كتاب فلسفة الموسيقى الشرقية في اسرار الفن العربي ولعله من قبيل التواضع لم يقل فلسفة الموسيقى الشرقية والغربية على الاطلاق وكل ما يمت للموسيقى بسبب وقد ملأ في هذا البحث نحو ٧٠٠ صفحة من القطع الـكبير وتواردت اليه رسائل من كبار العلماء وكبار الساسة وكبار الكهنوت من امم مختلفة من الشرق والغرب مثنين على كتابه ، وكان اهم هذه الرسائل رسالة من العلامة العظيم جوليان هكسلي مدير مؤسسة اليونسكو العالمية يشكر له فيها مجهوده البالغ في اخراج هـذا الكتاب الفذ ويعده فيها انه متى بلـغ مشروع اليونسكو اشده سيعمل على ترجمة كتابه هذا الى اللغة الاكثر شيوعاً لكي تكون فوائده واسعة النطاق .

وقد رد المسيو جيم توريس بوده المدير العام لمنظمة اليونسكو على كتـاب المؤلف المصحوب بنسخة من الكتاب الذي نحن بصدده » وعلى نسخ من محاضراته عن الموسيقى في بناء السلام العام يبلغه في رده ان المؤسسة العـالمية اليونسكو مهتمة الاهتمام التام الذي اثاره عمله لديها . وقد ترشح الاستاذ الله ويردي لجائزة نوبل مواهتمت هذه المؤسسة بهذا العمل الجليل ووعدت بالالتفات الذي يستحقه عمله ، وهي ترى ان ترجمة الكتاب الى اللغة الانجليزية او الفرنسية يسهل عمل المحكمين . حبذا لو تصدى احد الادباء للترجمة وخابر الاستاذ ميشيل المؤلف في هذا الشأن واتفق معه على الترجمة . ولا ريب ان ترشيح اليونسكو للمؤلف لدى منظمة نوبل هي خطوة شريفة قد تؤدي الى الحصول على الجائزة التي ليست مقصودة بالذات من عرض الكتاب على المؤسسة بل المقصود هو الحصول على هذا الشرف الكبير الذي سيتمتع به جميع العالم العربي .

الموسيقى العالمية

بحث الاستاذ ميشيل الله ويردي في الموسيقى عند جميع الامم الغربية والشرقية الدنيا والشرقية القصوى . وطرق الموضوع من جميع ابوابه ولم يترك فيه شاردة ولا واردة ، واسهب جداً في السلالم الموسيقية على اختلاف انواعها واوطانها لان السلالم هي نوى الموسيقيات وهي ينبوع الالحان وروح الطرب والتطريب

ان السلم الموسيقي « او الموسيقية » ليست غريزة طبيعية في اصل هذا الفن البديع الجليل بل هي نزعة وطنية او اقليمية .

تلميذتي السابقة تخرج من باب البيت وقد تأبطت ذراع «يوسف ابو اسماعيل» شريكي السابق في غرفتي، وفتح السائق باب السيارة فصعدوا جميعاً إليها وانسابت بهم كالطيف ثم اختفت وراء المنعطف

خيل لي ان ياقتي المنشاة تشد حول عنقي كانشوطة المشنقة ، وان جميع الاوساخ التي جهد الكواء في إزالتها قد برزت جميعها في جوخ بذلتي . ترى اراوني قبل ان يصعدوا . لكم تمنيت لو انني لم التفت، ولم احس هذا الخجل الوسخ .

في طريق عودتي تحسست جيوبي قرب محل «الاوتوماتيك» فلم اجد سوى فرنكين ، وكنت اعرف ان ثمن الشطيرة خمسة فرنكات، ولكنني رغم ذلك دخلت ، وزحمت المناكب المتراصة امام البائع ، ثم طلبت شطيرة دمعة ..

دمشق — شوقي بغدادي

وليست من حتميات الطبيعة الا ان للسلم طرفين قراراً وجواباً ، وكل منهما صدى للاخر . هذا من سنن الطبيعة ان يكون بين القرار والجواب اتفاق في الاهتزازات الهوائية الصوتية بحيث يكون الثاني مضاعف الاول في عدد الاهتزازات وبين الطرفين سلم يتدرج في نغمات يسميها بعض الموسيقيين مقامات . ويمكن ان يصعد السلم من جواب لجواب اعلى فيصبح الجواب الاول قراراً للجواب الاعلى وهكذا دواليك . فيترقى السلم الى سلالم متوالية كل منها جواب لما تحته وقرار لما فوقه . وقد ينتج من هذا الارتقاء سبع سلالم على الاقل كما هو الامر في البيانو الاعتيادي

وتختلف النغمات او المقامات باختلاف ذبذبات الوتر او اهتزازاته ، او اهتزازات عمود الهواء المنفوخ في القصبة او اية انبوبة موسيقية حين تعزف اوتنفر . والشيء الطبيعي في درجات السلالم هو ان ذبذبات اية درجة هي مضاعف ذبذبات الدرجة التي تقابلها في السلم الذي تحته وفي جميع الموسيقيات المعروفة في الغرب والشرق السلم ذو سبع درجات اصلية وقد يتفرع منها اجزاء درجات كانصاف وارباع واثمان و ١ / ١٦ كما سيأتي بيانه وللغناء عند القبائل الهمجية سلالم بسيطة جداً قد لا تبلغ الى سبع درجات حتى ولا الى اربع درجات والله اعلم .

ولا ادري ان كان تقسيم السلم الى سبع درجات تقسيم طبيعي ولعله طبيعي لان للنور سلالم موجية على مثال السلالم الموسيقية ، وكل سلم نوراني هو جواب لما تحته وقرار لما فوقه ، اذا شئت هذا بذلك . لان في الطبيعة اشعاعاً كهرطيسياً ذا تموجات مختلفة الطول والعدد في الوقت ، وهي تموجات اثيرية على حد تموجات الهواء الصوتية . والموجات الكهرطيسيا طبقات وكل طبقة هي مضاعف الطبقة التي تحتها في الموجات .

ولنا ان نسمي كل طبقة كهرطيسية سلماً كالسلم الموسيقي وفي الطبيعة ستون سلماً كهرطيسياً . ولكننا لا نرى منها الا سلماً واحداً هو سلم للنور فقط ، والباقية اكتشفناهـا بالالات المختلفة ولا نعرف سلم النور الا بالوانه الرئيسية السبعة من الاحمر « وهو الاسفل » والبرتقالي والاصفر والاخضر والازرق والنيلي والبنفسجي « وهو الاعلى » وموجاته هي ضعفا موجات الاحمر ، ولكن طول موجة الاحمر هي مضاعف طول موجة البنفسج ولهذا يسيران معاً في وقت واحد على انا لا نراها الا لوناً واحداً هو الابيض ولا نراه منحلا الى الوانه السبعة اذا نفذ في زجاجة الموشور او في قطرات قوس قدح . هذه الالوان

السبعة ليست في الموجات الاثيرية بل هي في خليات ادمغتنا البصرية فالخلية التي تنفعل من ذبذبة احدى الموجات تصدر اللون المطابق لها ، ولا نرى ما فوق البنفسجي وما تحت الاحمر الا بواسطة آلات بصرية ، كالنور الذي فوق البنفسجي والنور الذي تحت الاحمر . وكذلك الاشعة السينية « اشعة رنتجن » اذن فبين الصوت والكهرطيسية تشابه غريب في عدد الدرجات السبع .

في كليهما هذا العدد ٧ هو شيء طبيعي على الرغم من ان بين الدرجات سواء في الصوت او في النور اجزاء درجات اخرى لا تحصى . وهي سر تعدد الالوان كما هي سر تعدد الالحان . ويظهر ان الذين اتفقوا على السبع درجات في سلم صوتي اونوراني رأوا ان هذا الرقم مقدس لان الله خلق فيه العالم واستراح في اليوم السابع .

الانصاف والارباع

المعروف في جميع الموسيقيات الغربية والشرقية ان للسلم سبع درجات يعتبرونها اصلية . ويتفرع منها على قولهم انصاف . وفي الموسيقى ارباع ايضاً . وربما اثمان ايضاً . وفي اليونانية ١/١٦ . والحقيقة ان الدرجات ليست درجات متساوية ولا انصافها حقيقية والارباع كذلك واليك البيان :

اهتزازات الانصاف

٥١   ٥٧ لا نصف لها   ٦٨   ٧٦   ٨٢   لا نصف هنا

دو   ري   مي   فا   صول   لا   سي   دو

اهتزازات السلم الاولى

٢٤   ٢٧   ٣٠   ٣٢   ٣٦   ٤٠   ٤٥   ٤٨

اهتزازات السلم الاعلى

٤٨   ٥٤   ٦٠   ٦٤   ٧٢   ٨٠   ٩٠   ٩٦

الفروق بين الدرجات الاصلية والانصاف

٦   ٦   ٨   ١٠   ٦

في الفلسفة الطبيعية Physica ذبذبات واهتزازات درجات السلم الاصلية منحطة الى اسفل سلم الاهتزازات في الثانية، تتراوح الفروق بينها بين ٣ و ٥ كما رأيت فيما تقدم ، وهو امر يدلك على ان الدرجات غير متساوية في الارتفاع والانخفاض ، وليست هي انصافاً كما يزعمون . هذا السلم مدون في جميع كتب الطبيعيات لانه هو هو بعينه في كتابين لمؤلفين اميركيين مختلفين في الناحية. ولا اظن كتب الطبيعيات في اوروبا تختلف عنها من هذا القبيل. هذا السلم هو اوطأ سلم يمكن ان يسمع . ولا ادري ان كان ذا وقع موسيقي في الاذن اذا عزف. ولكي نرى نصف الدرجة

عدداً صحيحاً نزلنا الى السلم الذي هو فوقه. وهو معلوم ان اهتزازات درجات السلم الاعلى مضاعف اهتزازات درجات السلم الاوطى كما رأيت في الجدول هكذا. نرى في البيانو مثلا ليس بين «مي» و«فا» اصبع اسود ، ولا نرى بين «سي» و«دو» الاخرى «الجواب» اصبعاً اسود. واما بين بقية الاصابع الاخرى البيضاء اصابع سوداء وهي ما يسمونه انصاف درجات ، وما هي انصاف كما نرى ان الفروق بين الدرجات الاصلية البيضاء ليست متساوية هي ٦/٦/٤/٨/٨/١٠/٦ في السلم كله. ولا ادري كيف يعتبرونها انصافاً على ان الذين يشدون اوتار البيانو اي يدوزنونها يعتمدون على السماع ، لان اوتار اعصابهم السمعية تدوزنت على سلم البيانو او السلم الافرنكي .

وكذلك الذين يدوزنون الآلات الوترية العربية : العود والكمنجة والقانون ، يعتمدون على آذانهم كما يعتمدون عليها في العزف من غير اعتماد على علامات «نوتات» وهي مهارة عجيبة مدهشة لانهم يعزفون جميع الالحان من غير الاستعانة بنوتات . وجل ما يحتاجون اليه في الدوزنة هو اما صفارة تصدر صوت نغم واحد يعتبرونه درجة «دو» ويجرون عليه في ضبط سائر الدرجات اعتماداً على آذانهم ، او يعتمدون على اداة معدنية ذات شعبتين فينقرون الشعبتين فتصدران صوتاً يحسبونه درجة «دو» .

واما في ضبط ابعاد الدرجات بعضها عن بعض « واعني ضبط اهتزازاتها » فقد اعتمد الموسيقيون العلماء على قياس الوتر المشدود بحسب طوله فاعتبروا الوتر الذي طوله متر اذا عزف كان صوته «دو». فاذا امسك في وسطه تماماً كان صوت الذي يصدر من نصفه « دو » اخرى هي جواب لدو الاولى ثم يقسم النصف الى درجات حسب اصطلاحهم وكان عند اليونان آلة لقياس الصوت تسمى مونوكورد اي ذات الوتر الواحد . ولا يخفى انه لمقدار الشد حساب لان الوتر كلما اشتد ارتفع صوته. لذلك نرى ان السلالم غير متماثلة الا في ان السلم الواحد هو قرار لما فوقه وجواب لما تحته ، على اعتبار ان اهتزازات الوتر في السلم الواحد مضاعف اهتزازات السلم الآخر او انصاف الاهتزازات التي فوق السلم الآخر كما تقدم البيان .

ولاستخراج عدد الذبذبات او الاهتزازات في كل درجة او نصف درجة توجد آلة تسمى صونوميتر تسجل اهتزازات كل صوت . وقد استنبط الاستاذ وديع صبرا « من بيروت » الذي كانت حرفته العزف على البيانو في باريس مدة طويلة، صونوميتراً يسجل به اهتزازات الاصوات الموسيقية في جميع درجاتها ،وقد جاء به الى مصر يوم كان المؤتمر الموسيقي منعقداً فيها ، وكان غرضه ان يسجل به اهتزازات درجات السلالم العربية بجميع انواعها والحانها . ولا يخفى ان لكل لحن من الالحان العربية سلماً خاصاً ، كالرست او الحجاز كار او الصبا او النهاوند الى آخره كما سيأتي في بيانه . ولا ادري ان كان الاستاذ صبرا قد نجح في هذا المشروع .

السلم العربي

ذكرت آنفاً ان لكل لحن من الالحان العربية سلماً خاصاً ولكن لها سلماً عاماً اصلياً تتفرع منه درجات انصاف ودرجات ارباع . وهذه الانصاف والارباع تستعار من الدرجات الاصلية بالضغط على الوتر بالاصبع او باستعمال « البكلة » في القانون التركي او باستعمال ضغط الاصبع . او بدوزنة القانون دوزاناً خاصاً حسب اللحن المراد . وهذا ما يجعل الموسيقى العربية ممتازة على الموسيقى الغربية بحيث تصدر الالحان المختلفة محاكية الانفعالات النفسانية الامر الذي ليس له مشابه في الموسيقى الافرنكية ، وتشترك معها في هذه المزية الموسيقى التركية . وربما كانت الموسيقى اليونانية اميز منها من هذا القبيل لان في سلمها ١/٨و١/١٦ من الدرجة علاوة على النصف والربع كما يقال

والموسيقى العربية اقتبست كثيراً من الموسيقى التركية وهذه من اليونانية الاصلية المسماة البيظنطية. وفي الحاننا العربية كثير من الروح البيظنطية . ويقال ان المرحوم السيد درويش الملحن العظيم كان يختلف كثيراً الى الكنائس الارثوذكسية لكي يسمع بصلتيكا اليونانية اي البيظنطية لكي يقتبس منها العبارات

الموسيقية الجميلة او المؤثرة او الحنونة . وفي ادواره التي سجلها في نفسه في اقراص الفونوغراف كثير من الروح البيظنطية .

السلم العربي « او التركي ايضاً » ادق السلالم الموسيقية في كل العالم لما فيه من انصاف الدرجات وارباعها يقتبس منه العازف بدل درجاته الاصلية حسب مقتضى اللحن الذي يعزفه، ولايضاح ذلك نرسم السلم العربي في درجاته وفروعها «الانصاف والارباع» كما ورد في كتاب الاستاذ الله وردى الذي نحن بصدده صفحة ١٥٣ مع مقارنته بالسلم الافرنكي :

	لعلها اهتزازات	ذرات	
دو	١٢٠٠	١٢٠٠	كردان
	١١٥٠	١١٦٧	ماهور
سي	١١٩٠	١١١٠	نم ماهور
	١٠٥٠	١٠٨٦	اوج
	١٠٠٠	٩٩٦	عجم
	٩٥٠٠	٩٧٢	نم عجم
لا	٩٠٠	٩٠٦	حسيني
	٨٥٠	٨٨٢	تك حصار
	٨٠٠	٨١٦	حصار
	٧٥٠	٧٩٢	نم حصار
صول	٧٠٠	٧٠٢	نوى
	٦٥٠	٦٧٨	تك حجاز
	٦٠٠	٦١٢	حجاز
	٥٥٠	٥٨٨	نم حجاز
فا	٥٠٠	٤٩٨	جهار كاه
	٤٥٠	٤٧٤	بوسلك
مى	٤٠٠	٤٠٨	نم بوسلك
	٣٥٠	٣٨٢	سيكاه
	٣٠٠	٣١٨	كردى
	٢٥٠	٢٩٤	نم كردى
رى	٢٠٠	٢٠٤	دوكاه
	١٥٠	١٨٠	تك زركوله
	١٠٠	١١٤	زركولة
	٥٠	٩٠	نم زركولة
دو	الوتر	المطلق	رست

ولا افهم لماذا لا يكون عدد اهتزازات درجة الاولى من السلم الاعلى مضاعف اهتزازات الدرجة الاولى من السلم الاسفل. اعني ان تكون اهتزازات دو العليا « كردان» مضاعف اهتزازات دو السفلى «رست» لان تلك بداية السلم الاعلى . وهي في الجدول ليست كذلك لان العليا جواب للسفلى وهذه قرارها . لكن الامر خلاف ذلك بل هو بعيد جداً عن هذا الظن .

وفي كتاب الاستاذ الله وردى ستون رسماً وجدولا للسلالم الموسيقية المختلفة الغربية والشرقية والقديمة والحديثة. وفيه تحقيق علمي للنسب المتصلة الموسيقية وعلاقتها بالانغام وغيرها حتى اذا طالعتها دهشت لسعة اطلاع المؤلف وسعة تفكيره ودراسته. وتحار في كيفية استيعابه لها . ولا تكاد تصدق ان عقلا واحد حذق تلك الاعتبارات المختلفة واستخرج تلك الارقام حتى يخيل لك ان الموسيقى ضرب من العلوم الرياضية. وانها لكذلك في دراسة هذا الكتاب الساحر .

الجمال للوسيقى

وربما كان القسم الرابع من الكتاب اجذب الاقسام لنفس القارىء المحب للفن لانه تبسط واسع في الجمال الموسيقي . فأستأذن حضرة المؤلف بكلمة مختصرة ابسط بها ذلك التبسيط.

قلنا آنفاً ان مزية الموسيقى العربية « والتركية ايضاً » هي في اجزائها هذه الدرجات من انصاف وارباع لان لكل لحن طريقة خاصة في استعمال هذه الاجزاء مثال ذلك ان العازف الذي يعزف اللحن النهاوند يستعمل « راجع الجدول » نم حجاز بدل جهاركاه ويستعمل كردى بدل سيكاه ، ثم دوكاه الاصلية الى ان يستقر على الرست «وقد اكون مخطئاً في هذا الترتيب » وهكذا لكل لحن استعارات خاصة من الاجزاء. فاذا عزف العازف هكذا ثم عزف على الدرجات الاصلية جهاركاه سيكاه دوكاه رست شعرت حالا بالفرق في اللحن لان في هذه الحالة يكون اللحن رستاً لا نهاونداً . وهكذا بتنوع الالحان العربية بتنوع العزف على الارباع والانصاف بدل الدرجات الاصلية وبواسطة هذه الاستعارات يتولد عند العرب عشرات الالحان وهي التي تحكي العواطف الروحية المختلفة . وليس في الموسيقى الافرنكية الا القليل من هذه التنوعات باستعمال انصاف الدرجات «او ما يسمونه هكذا وما هو بانصاف» كما رأيت ولذلك تعتبر الموسيقى العربية ارقى واجمل بكثرة التنوعات التي فيها. ولا بدع ان تكون كذلك لان قدميتها صقلتها وجعلت التفنن فيها بدائع فنية كبكل تطور وارتقاء والموسيقى الافرنكية بنت الامس. ويظن اصحابها ان الاقتصار فيها على

الانصاف وتقييدها بالعلامات جعلها فنية راقية. وعندي ان هذا التقييد جعلها سخيفة في اذن الشرقي. الموسيقى روح لا مادة فيجب ان توضع تحت امر الاذن «العصب السمعي» كما يفصل العازفون العرب فتكون اوقع في النفس واكثر اندماجاً بالروح واخلب للب.

اما الذين يستحبون هذه دون تلك او تلك دون هذه فاوتار اعصابهم السمعية قد تدوزنت على سلالم الحانهم فصارت تهتز مع اهتزازات موسيقاهم وتنفر من اهتزازات الموسيقى الاجنبية. فهؤلاء مخطئون في استهجان موسيقى غيرهم والعكس بالعكس واذا كان الشرقي او الغربي لا يود ان يسمع الا موسيقاه فلا نلمه اذا قال لك ان موسيقاه اطرب من تلك او ان الموسيقى الاجنبية اطرب له من موسيقاه لانه تعود سماع الموسيقى التي تطربه منذ صغره. فهناك اشخاص لا يتذوقون الفن ولا يفهمون اصوله ولا يطربون لاي موسيقى فيقولون لك ان الموسيقى الافرنكية ذات اصول وقواعد وفنون ولذلك يحبونها والحقيقة انهم لا يحبون شيئاً. ويقولون ايضاً ان الموسيقى العربية او الغناء العربي عار من الاصول والقواعد، والاغاني كلها فوضى، وهؤلاء جهلاء اغبياء جداً وانما هم يقولون هذا القول لكي يتمسحوا بالافرنج ويقال عنهم انهم متمدنون. ولما كان السلم الافرنكي لا يطابق السلم العربي حتى في درجاته الاصلية فيتعذر جداً على العازف بان يعزف لحناً عربياً على آلة افرنكية مقيدة الدرجات كالبيانو والارغن ومثالها. فاذا عزف عازف عليها لحناً عربياً ظهر ناشزا حتى انك لا تستطيع ان تسمعه اذا كنت قد الفته على الآلة العربية كالعود والكمنجة والقانون. لاتستطيع ان تعزف اذان الصلاة على البيانو او نحوه وتشمئز اذا سمعته، ولكن اذا سمعت الاذان من كمنجة الاستاذ سامي الشوا شعرت انه ناطق بكلامه.

وكانت فتاة لبنانية تدرس الموسيقى في ايطاليا «طبعاً حسب السلم الافرنكي» فغنت مرة على سوريين اغنية بسيطة لبنانية على السلم الافرنكي فلم يطق احد على سماعها لانها كانت تغني العربي على السلم الافرنكي. وهناك اناس يستنكرون تكرار الكلام والتلحين بالغناء العربي. فهؤلاء محقون في استنكارهم. وربما كان هذا التكرار هو العيب الوحيد في الغناء العربي المصري. والذنب فيه هو ذنب المغنين انفسهم لا ذنب الملحنين، لان الملحن قد يكرر عبارة ولكنه لا يكرر لحنها وانما يلحن لتكرارها لحناً آخر. ومع ذلك لا تعذره كل العذر لان الشعر عندنا سواء كان معرباً او زجلا نغني بالكلام فلا داعي لقضاء نصف ساعة او اكثر في غناء اغنية كلامها معدود الالفاظ الا اذا كان الكلام المكرر متنوع الالحان. سمعت مرة في الاذاعة المصرية مغنياً ينشد قصيدة «نالت على يدها ما لم تناله يدي» فقضى حصته في الاذاعة في انشاد الاربعة الابيات الاولى وكان يكرر كل بيت منها بكلامها ولحنها حتى زهقت، واعتقد ان جميع السامعين زهقوا ايضا.

والقصيدة تشتمل على اكثر من عشرة ابيات فكان في وسعه ان ينشدها كلها وان يتفنن في الحانها او ان يعتمد على ملحن خاص يلحنها له.

الموسيقى والشعر

وربما كان الشعر العربي يمتاز على اشعار معظم الامم الاخرى ولا سيما الافرنكية، لانه موزون وذو مقاطع معدودة ومحدودة في كل بحر من بحوره. والشعر العربي يتفق مع الالحان الموسيقية اتفاقاً طبيعياً لان الشعر موسيقى والموسيقى شعر. ولهذا افرد الاستاذ الله ويردي في كتابه العجيب فصلا خاصاً مطولا للعروض. بحث فيه بحثاً فلسفياً ثم علمياً مستفيضاً وضبط جميع الاوزان العروضية وتفعيلاتها وشرح قواعدها شرحاً علمياً عجيباً فننصح لمن يريدون درس العروض ان يطلعوا على الفصل السادس من الكتاب في «التوزين والايقاع» بل ان يدرسوه درساً.

بقيت لي ملاحظة طفيلية ارجو ان يغتفرها لي حضرة الاستاذ المؤلف وهي انه ورد في مباحث الكتاب بعض اصطلاحات خاصة بالموسيقى. مثل ذو الكومة وليا و بُعد طبيعي و بعد طنيني وجناحان الى غير ذلك مما هو من خصائص العلم الموسيقي وهي غير مفسرة في الكتاب التفسير الذي يحتاج اليه الدارس. وكان جديراً بحضرة الاستاذ ان يضع لهذه الكلمات معجماً في آخر الكتاب او في اوله مستوفي الشرح يرجع اليه الدارس كلما وردت امامه كلمة منها الى ان يستوعبها تماماً. وحبذا لو كان يضع للموسيقى كتاباً تعليمياً مدرسياً يقلل فيه جداول الارقام للطلبة الذين يريدون ان يتعلموا الفن حسب الاصول والقواعد.

واخيراً اني متعجب جداً من جلد الاستاذ ومقدرته على ازكان هذا الفن من الناحية العلمية ولا سيما النسب الرياضية وغيرها ولا اظن احداً غيره درس هذه الدراسة المستفيضة.

حقاً انه يستحق جائزة نوبل اذا امكن اعضاء لجنة نوبل الاطلاع على ترجمة هذا الكتاب.

القاهرة **نقولا الحداد**

الاستعانة بالالوان في تحليل الطفل

بقلم سمير بولس الشراوي
ليسانسيه في الفلسفة من جامعة فؤاد الاول

قام خلاف كبير بين محللي الاطفال بخصوص السن التي يمكن ان يبدأ فيها التحليل ، وتعارضت وجهات النظر ، وانقسم محللو الاطفال فريقين ؛ فريق يقول باستطاعة تحليل الطفل حتى وهو في الطفولة المبكرة ، وفريق يرى عدم امكاننا تحليل الطفل قبل السنة الثالثة . ولعل هذا الخلاف ناشيء عن الطريقة التي يتبعها كل فريق والوسيلة التي تصطنعها كل مدرسة في تحليل الطفل . فالفريق الثاني مثلا يعتمد على اللغة كوسيلة لتحليل الاطفال ، لذلك كان لزاماً عليه ان يتريث وينتظر حتى يصل الطفل الى سن ملائمة يستطيع فيها ان يعبر عن ذاته بطريق اللغة ، في حين يرى الفريق الاول عدم جدوى اللغة كوسيلة لتحليل الطفل اذ انها لا تنضج نضجاً كافياً لجعلها وسيلة للتعبير يعتد بها الا في سن السادسة تقريباً « سوزان ايزاكس ـ النمو العقلي للاطفال الصغار » . فبحث عن وسيلة مغايرة حتى اهتدى الى فن اللعب . واللعب طريقة غير مباشرة يمكن بها الوصول الى لاشعور الطفل « ميلاني كلين ـ تحليل الاطفال » وبعضهم فضل وسيلة اخرى تشابهها في كونها وسيلة غير مباشرة للكشف عن اللاشعور وفي ملاءمتها لحالة الطفل العقلية وهذه الوسيلة هي الرسم .

والواقع اننا لا يمكننا الاعتماد على اللغة في تحليل الطفل اذ يظل حتى سن الرابعة واحياناً الخامسة ، مركزاً حول ذاته ، مما يؤدي الى اختلاف منطقه عن منطق الكبار ومباينة لغته للغة البالغين « بياجية ـ سيكولوجية الاطفال » وقد يتبادر لذهن الانسان ان تركز الطفل حول ذاته يجعله قادراً على النظر الباطني والاستبطان . لذلك وجب ان الفت النظر الى ان الطفل في هذه السن غير قادر على تتبع خطوات فكره ، اذ لا يمكنه الاحتفاظ بهذه الخطوات في ذهنه . ولقد لاحظ علماء التحليل النفسي ان صغار الاطفال اذا ما تركوا وشأنهم اندمجوا في الحركات الجسمية وفي اللعب الخيالي وفي التخطيط على الارض . كما لاحظوا ان لعبهم وعرائسهم تتخذ لها معنى رمزياً وان رسوماتهم وتصويراتهم المبالغ فيها ان هي الا تمثيل يجول بخاطرهم . بل رأوا ان الرسم واللعب لا يقتصران على التعبير عما يجول بخاطر الاطفال وانما يعملان عملهما في تخفيف حدة الاضطرابات التي تعتريهم .

***

يكون سلوك الطفل حتى سن الرابعة تقريباً سلوكا تلقائياً ومعبراً تعبيراً صريحاً عما يجول بخاطره ، فهو يفعل ما يجول بخاطره ، ولا يقف عجزه الجسمي حائلا بينه وبين تحقيق رغباته اذ يحل له خياله جميع مشاكله تقريباً ، فهو اب ودميته هذه ابنته او زوجته ، وهو جندي ولعبه جنود الاعداء يحطمهم ويكسرهم حتى يرضي دوافعه ورغباته . واذا اراد القمر وعجز الكبار عن احضاره له ، رسم ذاته ممسكا بالقمر ، واذا اراد السفر رسم القطار ، واذا طلب الام رسم سيدة او بيتاً . لذلك لجأ المحللون الى الالوان يضعونها امامه ويتركونه يرسم .

وتكشف لنا دراسة رسومات الاطفال عن فرديتها . فكل طفل يفضل لوناً او الواناً معينة ، ويتخذ له نموذجاً خاصاً للتعبير عن الاشياء ، قد لا يمت بصلة الى واقع هذا الشيء . ونحن بامكاننا ان نميز رسم كل طفل عن الاخر بطريقته في رسم الخطوط والاشكال ، والالوان المستعملة وطريقة وضعها . ولكن رسوم الاطفال رغم فرديتها تدل على ميل عام للتعبير عن المشاعر

وردود الافعال والمشاكل بطريقة متشابهة . وتقول R. Alschuler و La .B.Hattwiek « الرسم والشخصية » « ان اطفالا مختلفين من بيئات اقتصادية مختلفة ومن امم وعناصر مختلفة قد عبروا في رسوماتهم عن خبراتهم الخاصة وخواطرهم ومشاكلهم ، ولكن استجاباتهم كانت متشابهة من عدة نواحي بدرجة توحي ان اصل هذه المشاكل يرجع الى الانسان البدائي » فرسم الطفل يعطينا صورة عن الطفل الفرد ، كما يعطينا صورة عن مجموعة الاطفال التي هو فرد منها .

والطفل لا ينظر الى الرسم على انه تمثيل لشيء معين وانما نلحظ ان رسومات الاطفال وخاصة الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ شهراً واربع سنوات ، تعبر عن شخصياتهم ومدى تطورهم فهي تنبع من اعماقهم الفياضة بالمشاعر التي لا يستطاع التعبير عنها بالقول ، ولذلك كان من الممكن معرفة طبيعة الحياة الانفعالية عند الطفل ومدى قوتها من فحص الالوان التي يستعملها . اما الخط والشكل فيوضحان لنا كمية النشاط ودرجة التحكم في الذات ولا يقتصر تقدير الرسم على اللون والخط والشكل ولكن يجب ان تدخل في اعتبارنا المساحات التي يشغلها رسم الطفل وهل يرسم في وسط الصفحة ام في اسفلها ام في احد اركانها الخ . .

***

وما دام اللون هو المعبر عن طبيعة الحياة الانفعالية عند الطفل بين ٢ – ٥ سنوات فقد اهتم به العلماء وافردوا له المجلدات فقاموا بدراسات عميقة تجريبية خلصوا منها الى نتائج قيمة نذكر بعضها هنا .

يرى العلماء ان الطفل عندما يرسم ، ينصرف كلية الى مجرد وضع الالوان على الورقة دون اي اعتبار الى شكل الرسم او حجمه ، وان بعض الاطفال يقبلون على مجموعات خاصة من الالوان اقبالا كبيراً .. ولكن بعد الاختبارات الطويلة والمقارنة بين النتائج امكنهم ان يتبينوا ان الاطفال في استعمالهم للالوان يخضعون لنظام معين متصل بنموهم وتطورهم اذ لا يظل الطفل متمسكا بمجموعة واحدة او بلون واحد طول هذه الفترة بل يلجأ الى لون معين في البدء ثم ينتقل الى لون آخر ، وهكذا حسب نموه وتطوره . ولعل اوضح انتقال في استعمال الالوان هو الانتقال من اللون الاحمر الى اللون الازرق ويمثل اللون الاحمر المجموعة الحارة من الالوان بينما يرمز الازرق الى المجموعة الباردة . ومعنى ذلك ان الطفل ينتقل من استعمال المجموعة الحارة الى استعمال المجموعة الباردة ، ولكن يجب ان يلاحظ ان هذا الانتقال لا يتم فجاة بل يمر الطفل اثناءه بفترة يستعمل فيها اللون الاصفر .

ويدل اللون الاحمر على الصراحة والرقة والسعادة والبعد والتخفف من الاحزان. لذلك نجد ان الاطفال الذين لا يميلون الى هذا اللون يلجأون اليه في حالات الفرح والحبور . ولعل ذلك يفسر لنا انتشار اللون الاحمر في ريفنا في المناسبات والاعياد.

اما اللون الاصفر فيدل على تغلب الدوافع الطفلية الاولى وانتشارها وتعتبر الفترة التي يستعمل فيها الطفل هذا اللون فترة انتكاس وتقهقر تهيئه للقفز والوصول الى الطور التالي اي طور استعمال اللون الازرق وتكون فترة الانتقال هذه بين ٣ و ٣ ونصف سنة .

ويعبر اللون الازرق عن التحكم الواعي ويدل على ميل للاستجابات المكتسبة وخروج عن نطاق الذاتية الى الموضوعية لذلك نجد الطفل يقبل عليه عند بدء ادراكه للبيئة التي حوله اي بعد سن الرابعة .

وقد يحدث صراع بين التمسك بالسلوك الطفلي وبين الانتقال الى السلوك المتزن الخاضع للضبط ، اي بين البقاء كطفل وبين الرغبة في النمو والتطور ، ويكون هذا الصراع نتيجة ميلاد طفل جديد او نتيجة انصراف الاهتمام عن الطفل الى اي موضوع آخر . وفي هذه الحالة نرى اللونين الازرق والاصفر موجودين معاً .

وباطراد نمو الطفل يزداد ميله لخلط الالوان اذ كلما تطورت حياة الطفل الداخلية وتنوعت دوافعه وزاد التباين بين التصورات العقلية والحياة الانفعالية والناحية الحسية كلما اقبل الطفل على تركيب الالوان وخلطها .

وعلى ذلك يمكننا ان نقول :

– ان اهتمام الطفل في المرحلة الاولى التي يخضع فيها لدوافعه ويتركز خلالها حول ذاته ، يكون موجهاً الى مجرد استعمال الالوان بغض النظر عن طريقة وضعها او مكانها .

– ثم يتزايد اهتمام الطفل بوضع الالوان ، وذلك في فترة الانتقال فنراه يضع لونين بجوار بعض احياناً .

– وعندما يظهر السلوك الاجتماعي الخاضع للضبط تراه يميل الى خلط الالوان وتركيبها خلطاً يراعي فيه القصد والغاية .

القاهرة — سمير بولس الشراوى

نافخ الدواليب

بقلم الآنسة سميرة عزام

لم اجد ما افعله لاروح عن نفسي من السأم الذي جثم علينا قليلا مقبضاً خيراً من دخول احدى دور السينما للتفرج على فيلم في حفلة السادسة مساء، التي اصطلح المتفرجون على تسميتها بالحفلة « الماتينيه ».

ولم يكن بالقاعة الفسيحة سوى نفر من المشاهدين جلهم من طلبة المدارس ، فاتخذت لنفسي مقعداً ، وما هي الا دقائق حتى بدأ العرض فتسمرت عيناي على شاشة واحت تعكس صوراً ومشاهد لفيلم من تلك الافلام « المطبوخة » على عجل والتي لا يسيغها المشاهد : الا ان يكون ذا ذوق في الفن تنقصه السلامة. وضقت ذرعاً بالرواية ولما يزل العرض في منتصفه مع سابق تقديري بان الفيلم لن يكون قوياً فالدور هنا عادة تدخر الافلام القوية لعطلة آخر الاسبوع حيث تضمن عدداً من المشاهدين يزيد بكثير على عدد روادها الذين يختلفون اليها في اواسط الاسبوع ليقتلوا فراغهم باي شيء.

ولكني لم استطع الصمود الى النهاية فآثرت الانسحاب ، دون ان افكر في وجهة معينة اقصدها . وتسللت من الباب لاجد الدنيا في الخارج وقد لفتها عتمة الغسق وبدأت تستنجد بأنوار الكهرباء ، ومضيت ابحث عن دراجتي بين تلك الدراجات المسندة الى الحائط ، اذ هي هنا ـ اي الدراجات ـ وسيلة الانتقال الوحيد ، في هذا البلد . واذ بي اري صبياً ينحني على دولابها عابثاً « بالبرغي » المشدود فيرتخي العجل المنفوخ بحركة « زفير » قوية.

وفوجيء الولد بيدي الكبيرة تستقر على كتفه فما جرؤ على ان يرفع رأسه الي . فسحبته بقوة فانتصب وتبينت وجهه الملوث بزيوت التشحيم . لقد كان الصبي الذي يعمل في ورشة الدراجات القريبة . هنا وضح الامر لدي اذ لم تكن هذه المرة الاولى التي تعبث فيها يد بدراجتي وتذكرت ما كنت اسمعه من بعض اصدقائي وكيف كانوا يقبلون على دراجاتهم التي يتركونها بقرب النادي او السينما او منازلهم فيجدون العجلات وقد افرغ هواؤها وصار من المتعذر عليهم ركوبها ووجدت الامر معقولا بالنسبة للصبي يتسلى فيعبث بالاطارات حتى اذا ما تعذر دوران الدواليب حين خروجنا من دار السينما كان لا بد لنا من ان نقصد المحل الذي يعمل فيه لنفخها . فينال قروشنا من اقرب طريق .

وشعرت بالغيظ يأكلني فازداد ضغط يدي على كتفه وقلت : اذاً ، هو انت . انها وظيفة طيبة .. وانهارت اعصاب الفتى وصار يتلفت يمنة ويسرة والعرق البارد يتصبب من جبهته اللامعة الصفراء .

دعني يا سيدي .. اقسم بانني ..

بانك ماذا ؟ لقد ضبطتك بنفسي .

اني .. لن تفهمني لو تكلمت .

ماذا لديك لتقول مبرراً هذه الدناءة ؟

وهنا انتفض الولد وامسك بيدي وازاحها عن كتفه وقال: « لا تتسرع باتهامي فلست دنيئاً ، دعني بالله ، الا تفهم ؟ »

وبدأت الدموع تغسل عينيه وشعرت بغضبي يتحول الى لون من الحيرة امام توسلاته لي في الا اشكوه للبوليس واعداً بنفخ العجلة دون مقابل في هذه المرة . وتخلص الولد مني قبل ان يسمع كلمة مطمئنة واقبل على عجلتي يقودها الى محله وسارع باحضار منفاخه الكبير ونفخ عجلاتها ثم مر عليها بخرقة جلت غبارها ودفع بها الي وتلك النظرة المرتعشة تطل من عينيه .

وابتسمت انا قليلا لاخفف من حدة تخوفه فاطمأن الى بعض الشيء ، وقال : «لو مررت بي يوماً لاعتنيت بدراجتك ، مجانا» . وازدادت بسمتي اتساعاً فزال بعض ما في نفسه وتجرأ على ان يسأل ـ « هل ستشكوني ؟ » .

والواقع ان فكرة ابلاغ الامر للمركز لم تخطر لي ببال فالامر في نظر مسالم مثلي اتفه من ان يضطرني للذهاب الى المركز ثم الدخول في اخذ ورد لا ينتهيان لا سيا في هذا البلد الذي تهتم فيه السلطات بالصغائر اذ ليس لديها من الكبائر ما تشغل له رجالها وقلت له، وانا استعد لركوب دراجتي « كلا على ان لا تعود في المستقبل لمثل هذه الاساليب ».

وادرت عجلتي باتجاه الطريق المفضية الى بيتي وما قطعت مسافة يسيرة حتى شعرت بالصبي يتبعني على دراجته وبحركة منه سد علي طريقي وقال باضطراب « سيدي،هذه الطريق تؤدي الى المركز وانت وعدتني...» فقاطعته بحدة،«ولا ازال عند وعدي » .

شكراً، قالها الصبي ببطء وهو يتفرس في عيني وهم بالعودة . ولكنه تلكأ قليلا وقال : « كنت اود ان اقول لك شيئاً ..ولكني اخشى ان لا تستمع الي.. ثم تلفت بحذر واردف : على كل حال ان هذا المكان ليس بالمكان المناسب».

ولا ادري ما الذي دفعني الى مسايرة الفتى والاستماع اليه . فقد شعرت بنوع من الاشفاق يجذبني نحوه فقلت له:تعال، واخذته الى مقهى قريب واتحيت به ركناً وطلبت له زجاجة من شراب بارد لم يقربها. ولعله احس بعيني تتفرسان في وجهه فخفض رأسه وراح يعبث باصابعه بحركة عصبية ..وقطعت عليه صمته الحائر حين سألته « ماذا تريد ان تقول..ـ لا شيء.. فقد اردت ان اسال هل تظنني دنيئاً ؟ ولم يسعفني جواب معقول رزين ارد به عليه فقال : « اني اكاد اقرأ ما يجول بخاطرك ومن حقك يا سيدي ان تزدري واحداً مثلي .. فانا اعلم ان في عملي هذا ما يدعو الى الخجل..ولكن..

ولكن ماذا ..

ان ورائي اما واخاً واختاً يعيشون على ابرة « امي » وما اربحه انا من وراء نفخ العجلات . اني اعمل في « الورشة » حتى الخامسة مساء لقاء قروش قليلة ، ثم يعفني « المعلم » تاركا الورشة لي ، وهذه فرصتي الوحيدة لاكتسب قروشاً آكل بها : كم اشعر بالخجل حين استمع في المدرسة الليلية دروساً تحث على الامانة ، وعلى الخلق القويم ، ثم اجدني في النهار مضطراً الى هذا السلوك .حتى امي التقية لا تعلم سر هذه القروش اليومية ، والا لما كانت ترضى بالربح عن هذا الطريق .

ان من حظي ان ضبطني شخص طيب مثلك والا لكانت مصيري اصلاحية الاحداث . ولكن اليس من التعاسة انني لا استطيع ان اعدك بالكف عن مثل هذه الحقارة ؟؟ الا اذا اخترت ان اتضور مع عائلتي ؟؟ . وسكت الصبي اذ خنقته دموعه ، فربت على كتفه مخففاً ونهضت به لنغادر المكان . وقبل ان نفترق عند باب المقهى اخذ يدي يشد عليها وقدم لي بيده الاخرى وفيها قروش وقال : انك لا تستحق ان ابتز نقودك ظلما ، خذها فقد شاهدتك اكثر من مرة تنتظر دورك لنفخ العجلة .

ولم ادر ما اقول .. كل ما فعلته هو انني لمنت الدنيا ثم اخرجت كل ما في جيبي من عملة فضية دفعتها اليه وادرت وجهي خشية ان تطالعني عينان تسكنها كبرياء جريح .

ليماسول ـ قبرص   سميرة عزام

موعد مع الربيع

مهداة الى صديقي الاستاذ نهاد التكرلي
الذي وجدت في كتاباته صدى لما يعانيه
شبابنا المثقف من تطلع محرق الى اهدافه البعيدة

ـ « لو لم تمت ! »
وحجبت عن عيني الجليد
وصرخت من اعماق يأسي : « لا اريد ! »
هي والسنونو والربيع غداً تعود
هي والوجود ، غداً تعود
وحجبت عن عيني الجليد ، ومن جديد
فوق الحقول ، تلألأ القمر النحيل
كذبابةٍ حمراء ، يجنح للافول
وصرخت : « لا ... »
في وجه موتي : « لا اريد ! »

وبصقت : « لا ... »
في وجه موتي : « لا اريد ! »
الباب يُفتح ، والضياء يمس نفسي من جديد
وكأنما بيضٌ تكسر عن نسور
نفسي ـ التي كانوا أماتوها ـ تكسر عن نسور
طارت الى افق البكاء
ـ « لو لم تمت ! »
وبصقت في وجه السماء
لا دمع في عيني ، وموتي ، والضياء
والباب يفتح من جديد
« رباه ! ... » والباب الموارب في حياء
نفسي تهز رتاجه المصدوء ، يخنقها البكاء
« رباه ! احوج ما نكون
فقراء نحن اليك ، احوج ما نكون
وب المساكين ، الحزانى ، الضائعين
فقراء نحن اليك ، رب الضائعين ! »
والليل والأنداء ، والقمر النحيل
كذبابة حمراء ، يجنح للافول
وضحكت : « ماذا يشتهي الانسان
إن ملك الذي قد يشتهيه ؟ ؟
ماذا ؟ « سوى القمر »
ـ ... الذي قد يشتهيه ؟ ـ
ماذا ؟ وفي نفسي الرغائب تستفيق
« لو لم تمت ! »
وشرعت أعدو في الطريق
عبد الحياة ، انا الرقيق
عبد الحياة يعود ، يحمل من جديد
جذلان ، صخرته ، الى السفح البليد
وصخرت من نفسي : « تعود ؟
هي والربيع غداً تعود ! ! »

بغداد — عبد الوهاب البياتي

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم

الفصل السادس

أشهر الآلهة

وآلهة العرب الجاهليين كثيرة ، ولا يمكننا ان نعدد جميعها هنا ، ففي ابن الكلبي ، وابن هشام ، وياقوت ، وغيرهم من كتب السير والتفاسير والتاريخ والادب واللغة ومختلف المعاجم ... ثم في ولهوزن والالوسي والجارم وغيرهم من المحدثين غنى عما يمكننا ذكره ورسم صفاته ومميزاته في هذا الباب ، على انه لا يمكننا ان نمر مر الكرام ، وتتجاوز ثم نغض الطرف عن اربعة هي ، على ما بين ايدينا من المصادر أشهر مؤلهات العرب على الاطلاق ، وبالاربعة نعني مناة واللات والعزى ــ وطالما ذكرت معا ــ ثم هبل ، ونبدأ باقدمها وهي :

مناة

يجتهد ياقوت في معرفة اشتقاق هذا الاسم فيقول : ولعله يكون المنا وهو القدر في قولهم :

ولا تقولن لشيء سوف أفعله   حتى تبين ما يمني لك الماني

اي ما يقدر عليك .. قال : ويجوز ان يكون من المنا وهو الموت ، او من مناه الله يمنيها أي ابتلاه ومنوت الرجل ومنيته اذا اختبرته ، أي انه الخبير(١) . وفي نفس الوقت يعترف ياقوت بانه لم يقف على أحد يقول في اشتقاقه شيئاً .

وغريب هذا الشبه بين مناة العربية وبين الكلمتين مناتا Menata الآرامية ومنوت Manot العبرية . وهو كالشبه بين الماني الواردة في البيت الذي سرده ياقوت وماني Meni إله القدر او إله الموت(٢) . وهو اغلب الظن معبود كنعاني ... وفي اللغة نجد ان منية تعني الموت او الاجل .

(١) معجم البلدان لياقوت ص ٦٥٢ ج ٤

(٢) ص ٢٣١ ج ٣ Enc. of Islam

ومناة على رأي ابن الكلبي ، اقدم الاصنام كلها . « وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، بين المدينة ومكة(١) » ولربما كان قدم رفعها الهة سببا في عدم معرفة كنهها وتفصيل شعائرها ، وتلمس صفاتها الحقيقية . وقد ذكرت مناة على صيغة الجمع في نقوش الحجر النبطية(٢) . وكان آخر العهد بدولة الانباط سنة ١٠٦م . وذلك بعد ان جرد عليهم الامبراطور الروماني تراجان حملة عجز النبطيون عن الوقوف في وجهها فغلبتهم على مدينتهم وذهبت بعصبيتهم فانحلوا واختلطوا بغيرهم من الشعوب المجاورة(٣) .

وكان الهذليون يعبدون مناة بحجر اسود على رأي بوهل(٤) « وكانت العرب جميعاً تعظمه(٥) » ولم يكن احد اشد اعظاماً له من الاوس والخزرج(٦) » تخصه بالهدية والزيارة كما كانت تخص قريش العزى وثقيف اللات(٧) . ولم يزل على ذلك حتى خروج الرسول من المدينة سنة ٨ للهجرة « عام الفتح » ... فلما سار من المدينة ، اربع او خمس ليال ، بعث عليا « وهناك روايات تنسب هدمها الى ابي سفيان بن حرب ، او سعد بن زيد الاشهلي » . فهدمها(٨) واخذ ما كان لها ، وكان فيما اخذه سيفان اهداهما لمناة الحارث بن ابي شمر الغساني ــ وهو من الملوك الغسانيين الذين اعترف تاريخه بوجودهم ، توفي سنة ٥٦٩ م ــ احدهما يسمى مخذما والآخر رسوبا ، وقد ذكرهما علقمة في شعره فقال :

مظاهر سربالي حديد عليهما   عقيلا سيوف : مخذم ورسوب

على انه يقال أن عليا وجدهما في الفلس صنم طيء(٩) .

(١) كتاب الاصنام ص ١٣ (٢) ص ٢٣١ ج ٣ Enc. of Islam

(٣) العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٧٦

(٤) ص ٢٣١ ج ٣ Enc. of Islam

(٥و٦) كتاب الاصنام ص ١٣ (٧) نفس المصدر ص ٢٧

(٨) السيرة ص ٥٥ ، تاريخ الطبري ج ١ ص ١٦٤٩

(٩) العرب قبل الاسلام لزيدان ص ١٨٦

ويقول ابن الكلبي: إن مناة التي ذكرها القرآن في سورة النجم(١) ــ ولم يذكرها في غيرها ــ هي لهذيل وخزاعة، فهل يستنتج من تعداد القبائل جميعها في الحديث عن مناة هذه، انه كان لها أكثر من وثن؟ ذلك محتمل. على ان انتشار الاسماء المركبة منها «كزيد مناة» و «عبد مناة» بين مختلف القبائل، وما سبق من ان العرب جميعاً كانت تعظمها، من شأنه ان يدعو الى الظن ان عبادة هذه الآلاهة التي اعتبرت احدى بنات الله، قد عمت قسماً كبيراً من بلاد العرب.

اللات

الاهة عربية اخرى، قديمة وهي احدث ــ على رأي ابن الكلبي ــ من مناة (٢). ترجع الى عهد الحجر وبطرا، كما انها ذكرت في نقوش الانباط والتدمريين ومعنى اللات الالاهة وقيل انها اسم للشمس (٣) ويقول نلدكه ان اليلات Alilat التي يذكرها هيرودتس يجب ان تكون قد احتلت مكانة سامية في ديانة اولئك العرب الذين سكنوا شبه جزيرة سيناء ومن جاورهم. وقد ظهرت اسماء مركبة منها بين الانباط والتدمريين، كما انها دعيت في احدى النقوش النبطية العديدة بام الآلهة The Mother of the gods(٤) ويرى نلدكه ايضاً ما يرى ولهوزن ان اللات «هي نفس اله الشمس» النبطي الذي كان يقدس عندهم تقديساً هاماً.

اما ما يراه العرب من ان اللات نسبة الى صخرة كان يهودي يلت عندها السويق، فسميت صخرة اللات(٥)، فلا يخرج عن كونه حديث خرافة. وضعوه لعجزهم عن معرفة أصلها وكيفية دخولها بينهم، وتوغلها في الجزيرة حتى وجدت لها مكاناً في نواحي الطائف، ولرغبتهم في ايجاد تعليل لوجودها.

وقريب من هذا التعليل اجتهاد ياقوت في وضع الجوازات في معجمه كقوله: يجوز ان يكون اللات من لاته يليته اذا صرفه عن الشيء، كأنهم يريدون ان يصرف عنهم الشر(٦)

ولا أدري اكان جهلا منهم ظنهم بانهم لم يتصلوا فيمن جاورهم ولم يتأثروا بهم ولم يأخذوا الشيء الكثير من معتقداتهم وبالعكس ام تجاهلا ؟؟! اننا نقرأ في تواريخهم ما يدل على انهم عرفوا جيرانهم. ولا نرى سبباً لذلك ــ ان كان جهلا ــ سوى عدم تسجيل تاريخ جامع لاحوال العرب او حقائق ثابتة عنهم ــ على الاقل ــ في الجاهلية مما ادى الى ضياع الكثير من اخبارهم وخصوصاً حوادث القرون الخمسة الاولى للميلاد. فلا ارى في اللات مثلا الا انها غريبة عن العرب اصلا. دخلت الجزيرة العربية من الشمال فيما دخلها بواسطة القوافل التجارية وغيرها. وهي الاهة نبطية بلا ريب. اما ان يكون الانباط عرباً او آراميين، فذلك ما نتركه لبحاث التاريخ القديم، فاذا كانوا عرباً فهي من العرب والى العرب، وتبقى في الاصل غريبة عن الحجاز، جاءته في التالي من المناطق الشمالية.

والمعروف ان اللات قد عبدت بصخرة مربعة بالطائف، وكانوا قد بنوا عليها بناء، وكانت قريش والعرب جميعاً تعظمها، ولقد سموا بها «زيد اللات» و «تيم اللات» (١) وهي التي تذكر مع العزى وتضاف اليها مناة كما جاء في القرآن.

وكنا ذكرنا كيف ان وفد ثقيف سألوا النبي ان يدع لهم الطاغية «اللات». لا يهدمها فابى. وقد ارسل محمد ابا سفيان والمغيرة بن شعبة لهدمها، فقدما الطائف واراد المغيرة ان يقدم ابا سفيان فابى وقال: ادخل انت على قومك، فدخل المغيرة ثم ذهب الى اللات فعلاها وحطمها بمعوله، وجمع ما عليها من الذهب والحلي(٢).

ومن لطيف مما يروى في حادث هدمها ان عامة ثقيف ما كانوا يرون انها مهدومة ويظنون انها ممتنعة. فلما قام المغيرة لهدمها، أخذ المعول وقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف: وضرب بالمعول ثم سقط يركض برجله، فارتج اهل الطائف بصيحة واحدة وفرحوا، وقالوا ابعد الله المغيرة، قتلته الربة، ثم قالوا هازئين لاصحابه من شاء فليقترب فقام عندئذ المغيرة وقال: والله يا معشر ثقيف انما هي لكاع حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم انه ضرب الباب فكسره، وعلا سورها وعلا الرجال معه فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالارض. غير ان سادنها لم ييأس من انتقام الربة، وجعل يقول: ليغضبن الاساس فليخسفن بهم! فلما سمع المغيرة قال لخالد: دعني احفر اساسها فحفروه حتى اخرجوا ترابها. ثم رجعوا الى رسول الله فقسم اموالها بين المسلمين(٣).

(١) القرآن الكريم س ٥٣ آية ٢٠ (٢) كتاب الاصنام ص ١٦
(٣) ص ١٨ ج ٣ Enc. of Islam
(٤) ص ٦٦١ ج ٩ Enc. of Rel. and Ethics
(٥) كتاب الاصنام ص ١٦، اخبار مكة ص ٧٩
(٦) معجم البلدان لياقوت ص ٣٣٤ ج ٤

(١) كتاب الاصنام ص ١٦ (٢) السيرة ص ٩١٧
(٣) البداية والنهاية ص ٣٣-٣٤ ج ٥

ومما ذكره الاب شيخو عن اللات قوله: «واليوم قد اجمع الأثريون على ان اللات هي الزهرة ولنا على ذلك شهادة هيرودتس المؤرخ. قال: في تأريخه ان العرب يعبدون الزهرة السماوية وهم يدعونها أليتا Alitta وقد اصلح اسمها في محل آخر فدعاها الألات Alilat وهو اختصار الالاهات كما اختصروا الاسم الكريم الاله فقالوا الله. ثم اختصروا الالات، فقالوا اللات. وكانت اللات معبودة في كثير من جهات الجزيرة ليس الطائف كما زعم كتبة العرب. فان الأثريين وجدوا كتابات عديدة ورد فيها ذكر اللات ولا سيما في بلاد النبط في حجر وصلخد والبصرى حيث كان لها هيكل وفي انحاء حوران وحتى في تدمر. وتدعى هناك بالقاب تدل على مقامها كاللات العظمى وام الآلهة. وكانوا يضيفون الى اسمها اسم المكان الذي تكرم فيه فيقولون لات صلخد ولات حبران الخ ...

قال: «ودخل اسمها بين اهل المدر، وبين سكن حوران المتكلمين باليونانية فنقلوا اسمها الى اليونانية على صورة «اثيني» وهي عند اليونان آلهة الحكمة، لكن صورها واوصافها في الكتابات القديمة تثبت على كونها الزهرة. ومما يدل على انتشار عبادتها بين العرب كثرة الاسماء المركبة من اسمها كوهبلات، وتيم اللات، وعمرو اللات، وزيد وغيرها مما وجد في الآثار والاعلام القديمة»(١) والاب شيخو مؤمن بان اللات هذه هي نفس مناة ومناة هي اسم من اسماء العزى. وما العزى الا الزهرة التي عرفت باسماء أخرى على مقتضى احوال ظهورها بعد غروب الشمس وقبل طلوعها، غير اننا لا نرى ان اللات ومناة والعزى انما هي اسماء مختلفة لآلهة واحدة. بل انها ثلاثة اسماء لثلاث آلهات في بلاد العرب على الاقل.

العزى

من حديث ذكره ابو الفرج(٢) يحلف فيه المنذر الرابع ملك الحيرة باللات والعزى، نعلم ان العزى - تلك التي اهدى لها النبي شاة عفراء وهو على دين قومه(٣) - كانت تعبد ايضاً بين اللخميين. اولئك الذين كانوا لعبة في ايدي ملوك فارس على الضفة الشمالية الشرقية من بلاد العرب، كما كان ملوك غسان لعبة بايدي الاباطرة الرومان في مشارق الشام، ومما يروى عن بين الغساسنة واللخميين، ما ذكره مؤرخ سرياني ؟

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ١٠
(٢) الاغاني ص ٢١ ج ٢ (٣) الاصنام ص

الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي:

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة
في الخارج: ١٥٠ قرشا مصريا او ٩ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا: ٢٤ ليرة كحد ادنى
في الخارج: ٢ جنيها مصريا او استرلينيا
او ٦٠ دولار كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب: باب ادريس، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة: ٤٧ - ٩٢ Direct.: 92 - 47 } Tél.
{ المنزل: ٣٧ - ٤٨ Dcle. : 48 - 37 }

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها: **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:
مجلة الأديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

المنذر ذاك قد ضحى للعزى ابن الحارث الجفني ملك غسان وقد وقع الولد بيده اسيراً، كما ضحى اربعمائة راهبة اسيرة كن متنسكات في بعض اديرة العراق(١). ذلك خبر مؤلم، إن صح، علمنا ما كان يصحب عبادة «كوكب الحسن» من القساوة. غير ان هذه القساوة – على ما يظهر – لم تدخل قلب بلاد العرب، وان كان الكثير من ميزات هذه الالاهة القاسية القلب منسياً او غير معروف لدينا. فهم ان تحدثوا عنها قالوا: والعزى تأنيث الاعز، مثل الكبرى تأنيث الأكبر. والاعز بمعنى العزيز والعزى بمعنى العزيزة (٢) وهي احدث من اللات ومناة، وذلك ان العرب – على رأي ابن الكلبي – مت بها قبل العزى. «وكانت بواد من نخلة الشآمية، يقال له حراض(٣) بإزاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة فوق ذات عرق الى البستان بتسعة اميال» وكانت اعظم الاصنام عند قريش التي حمت لها شعباً من وادي حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة(٤) ونخلة الشآمية هذه كانت واديين لهذيل على ليلتين من مكة، وهما ما عناها كثير بقوله:

حلفت برب الموضعين عشية(٥)

وقد اوردها حسان بن ثابت في شعره قال:

وان الذي بالجزع من بطن نخلة
ومن دانها فل عن الحق معزل

وهو في هذه الشهادة انما يعني العزى نفسها(٦).

وكانت العزى تعبد بثلاث شجرات سمرات بنخلة حيث كان يلتقي الرب لحرتهامة بعد ان يكون قد اصطاف في اللات لبرد الطائف(١) ولم تقتصر عبادتها على تمثيلها بالثلاث سمرات، ولكن كان لها صنم ايضاً معبود وبيت محمي تقدم له ضروب الشعائر(٢) وفي حديث مسير خالد بن الوليد لها يقول ابن الكلبي انه قطع الشجر وهدم البيت وكسر الوثن(٣) والظاهر ان عبادة العزى اخذت تتضاءل في اواخر العصر الجاهلي

على ان منهم من كان لا يزال شديد الكلف بها، من حديث ذلك ان سعيد بن العاص حينما مرض مرضه الاخير الذي مات فيه دخل عليه ابو لهب يعوده فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا ابا احيحة؟ امن الموت تبكي ولا بدمنه؟ قال لا ولكني اخاف ان لا تعبد العزى بعدي فقال ابو لهب: والله ما عبدت في حياتك لاجلك ولا تترك

(١) Enc. of Islam ج ٤ ص ١٠٦٩
(٢) معجم البلدان ص ٦٦٥ ج ٣
(٣و٤) الاصنام ص ١٧–١٩
(٥) معجم البلدان ص ٧٦٩ ج ٤
(٦) اخبار مكة ص ٨٢

(١) نفس المصدر ص ٧٩
(٢) تفسير الطبري ص ٣١ – ٣٢ ج ٢٧
(٣) الاصنام ٢٧

عبادتها بعدك لموتك . فقال ابو احيحة : الآن علمت ان لي خليفة(١) . ويدعي ابن الكلبي ان قريشاً كانت حينا تطوف بالكعبة تقول :

واللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ، فانهن الغرانيق العلى ، وان شفاعتهم لترتجى(٢).

ويلاحظ الشبه بين هذا الاهلال وبين ما ورد في سورة النجم ، كما يلاحظ الجمع بين الآلاهات الثلاث تلك . وان كثر الجمع بين العزى واللات كقول زيد بن عمرو عزلت اللات والعزى الخ ... وكقول قريش في امرأة اصيب بصرها ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضران « اللات والعزى » ، وكقول كعب بن مالك :

وننسى اللات والعزى وودا　　ونسلبها القلائد والشنوفا(٣)

والايمان باللات والعزى ، مجموعتين ، كبيرة ، وفي أحُد يقبل ابو سفيان يحمل اللات والعزى(٤) والعرب اجمالا لم يكونوا يرون في بقية الاصنام ما يرون في بنات الله اللواتي يشفعن اليهم – على رأيهم – عنده .

وكان للعزى على ما يظهر تمثال او رمز تحمله قريش في حروبها . وقد ذكرنا كيف اقبل ابو سفيان في احد يحمل اللات والعزى . وفي احد ايضاً كان يقول : ألا لنا العزى ولا عزى لكم . فيجيبه المسلمون : الله مولانا ولا مولى لكم(٥) فهي من الالاهات التي كانت تشترك في الحروب وان كان هذا الاشتراك قاصراً على اثارة حمية عبادها . و«لامنس» في حديثه عن الحجارة المؤلهة يرى غير ما يرى ولهوزن الذي يقول : « تنتقل القبائل البدوية ولكن لا ينتقل موضوع عبادتها الخ » ويستمد الاب لامنس على امثال ما ذكر آنفاً وعلى اقرار ولهوزن نفسه بوجود «بعض الاشياء المقدسة التي تنتقل زمن الحرب» ومن قول الاب لامنس في هذا الحديث : وقد لا اخطيء القصد اذا رأيت اشارة الى شيء من هذه العادة في بيت للكميت يقول :

وقد آلت قبائل لا تولي　　مناة ظهورها متحرفينا(٦)

ويشاء التاريخ ان يكون خالد المشرك الذي اشترك في أحد جنباً الى جنب مع ابي سفيان ، هو نفس خالد المؤمن الذي مسح معالم العزى . تلك التي كان ابوه الوليد – بشهادة خالد نفسه – يأتيها بجزر ما له من الابل والغنم فيذبحها لها ويقيم عندها ثلاثاً ثم ينصرف اليهم مسروراً(١) . ومن حديث هدمها انه لما كان عام الفتح « ٨ هـ » دعا النبي خالداً لهدمها فانطلق الى بطن نخلة فعضد الشجرات الثلاث وقد رأى في الاخيرة منها حبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها وهي تصرف بأسنانها ، وخلفها دبية السلمي سادنها يثيرها على خالد ويقول :

اعزاي شدي شدة لا تكذبي　　على خالد التي الخمار وشمري
فانك ان لم تقتلي اليوم خالدا　　تبوئي بذل عاجلا وتنصري

ويشمر ظهر خالد ثم يقدم مشجعاً نفسه بترديده :

يا عز كفرانك لا سبحانك　　اني رأيت الله قد اهانك

ثم يضربها فيفلق راسها ويقتل سادنها ويهدم البيت ويكسر الصنم ثم يرجع الى النبي ويخبره بما فعل فيقول النبي: تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب ، اما انها لن تعبد بعد اليوم(٢).

هكذا كانت نهاية العزى في بلاد العرب ، اصابها ما اصاب غيرها من الآلهة الكثيرة وتتلاشى الروايات عنها دون ان تترك ولو شيئاً ضئيلا عن اصلها وخواصها وقد لاحظ بعض المستشرقين هذا النقص في الحقائق التاريخية في حياة العرب الجاهلية. ويقول اوليري في هذا المعنى انه لا يلاحظ في ما كتبه العرب تأخر المواد نسبياً فحسب ، حيث تلاشى كل شيء حقيقي يذكر عن العادات الوثنية ، ولكن هذه الكتابات التي حفظت لنا كانت قد نقحت وحورت في طريقة لتطابق ما ورد في القرآن(٣) .

هذا ومما يلاحظ ان العزى قديمة العهد وان كانت كما تذكر الرواة احدث من مناة واللات. فقد ذكرنا انها عبدت في الحيرة وان المنذر «في النصف الاول من القرن السادس» كان يضحي لها اسراه . وقبل هذا الزمن بقرن تقريباً ذكرها شاعر سرياني يدعى اسحاق الانطاكي ، وبذلك تعلم منه انها عبدت بين عرب ذلك الحين . وكان قد ذكرها في شعره على انها الزهرة نفسها Venus ... ويقولون انها وردت في مؤلفات كتاب يونانيين عاشوا في القرن الرابع . وهي بلا شك ترجع الى ما قبل ذلك بكثير ، ومصدر ذلك نقوشات وجدت في شبه جزيرة سيناء اشارت الى سادن لهذه الآلهة ، كما اشار غيرها الى الاسم عبد العزى وذلك

(١) نفس المصدر ٢٣ (٢) نفس المصدر ١٩ (٣) السيرة ص١٤٥ ، ٢٠٦ ، ٨٧١ (٤) تاريخ الطبري ص ١٣٩٥ ج ١
(٥) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٤١٨
(٦) مجلة المشرق ٣٦ – ج ١ ص ٢٠ ، ٦ ، ١٠

(١) اخبار مكة ص ٨١ (٢) كتاب الأصنام ٣٤ – ٢٧
(٣) O'Leary: Arabia before Muhammad. ص ١٩٢ London 1927

حوالي القرن الثاني للميلاد(١) . وقد عرفت الزهرة باسماء اخرى حسب ظهورها بعد غروب الشمس او قبل شروقها ، فكانوا يدعون نجمة السماء « عتر » وهي ايضاً « استار » Astarté او «عترعتا» Atargatis اما نجمة الصبح فشاع اسمها العزى اي الالاهة السامية . وجاء ذكرها باسم كوكب الحسن في شعر اسحاق الانطاقي وصرح بانها هي الزهرة ... ومن اسماء الزهرة ايضاً «كبر» كما ذكر الكاتب اليوناني افتيموس قائلا انها من معبودات العرب(٢) .

هبل

ويرجع بنا الى حديث احضار الاصنام من الشام « مآب » او العراق « هيت » وهو على رأي اليعقوبي اول صنم وضع بمكة(٣) وياقوت على عادته يحاول محاولات عقيمة في استخراج اسمه من معان واشتقاقات لا تجدي(٤) وذلك لجهله بانه اسم لمسمى غريب لا يحتاج الى تأويل.

وهبل هذا هو الذي كان يخاطبه ابو سفيان بن حرب في معركة احد سنة (٣) هـ . بقوله : ... اعل هبل ! اعل هبل ! فيجيبه اصحاب النبي : الله اعلى واجل(٥) .

وهو على ما يروي ابن الكلبي اعظم الاصنام التي نصبتها قريش في جوف الكعبة وكان فيما بلغه من عقيق احمر على صورة انسان ، مكسور اليد اليمنى، ادركته قريش كذلك فجعلت له يداً من ذهب(٦) ولهذا يقول ونسلك انه يمكننا ان ندعوه « إله مكة والكعبة »(٧) وكان هبل موضوعاً على بير في جوف الكعبة(٨) وكانت هذه البير فيما زعم الازرقي تسمى الاخف وكانت العرب كما يقول تسميها الاخشف(٩) وكان لهبل خزانة للقربان كما كان قربانه مئة بعير ، فاذا جاءوه بالقربان ضربوا القداح وقالوا :

انا اختلفنا فهب السراحا
ثلاثة يا هبل فصاحا
الميتة والعذرة والنكاحا
والبرء في المرض والصاحا
ان لم تقله فمر القداحا(١٠)

وسنرجع الى حديث القداح في الكلام عن المقامات الدينية فيما بعد . اما شعائره الاخرى فلا تقدم الينا معلوماتنا الحاضرة منها شيئاً ، وهو في الاصل اقرب الى ان يكون مؤلهاً ارامياً والغريب انه لم يذكر في خلاف الروايات العربية الضئيلة الا في نقش نبطي ذكره على ما يقال مع ذي الشرى ومناة(١) . ويظهر لزيدان ان هبل من آلهة الفينيقيين او الكنعانيين ويرى ادلة على ذلك فيما يلي :

١ ـ قول العرب انه جاءهم من مواب بارض البلقاء .

٢ ـ ان لفظ هبل لا اشتقاق له في العربية من معناه فهو غير مشتق من لفظ عربي، وعندنا انه عبراني او فينيقي اصله «هبعل» وهو اسم اكبر اصنام الفنيقيين او الكنعانيين ومن جاورهم... وكان للفينيقيين عشرات الالهة يميزون منها اثنين احدهما ذكر « هبعل » والثاني انثى « عشتروت » . ومعنى بعل في لسانهم السيد والاله ، والهاء في العبرانية اداة التعريف مثل ال العربية فباضافة هذه الاداة الى بعل يريدون الاله الاكبر. والظاهر انه حمل الى مكة باسمه العبراني ، واما العين الزائدة فيسهل اهمالها بالتخفيف ثم ضياعها بالاستعمال وخصوصاً في لفظ بعل لان الكلدانيين كانوا يلفظونه « بل » باهمال العين وهو اسم هذا الاله عندهم وربما كان المواييون يلفظونها هبل فنقلها عمرو ابن لحي كما سمعها .

٣ ـ ان اساليب عبادة العرب هبل تشبه اساليب عبادة الموابيين هبعل فقد كان المواييون ينصبون هذا الصنم على التلال المرتفعة او سقوف البيوت ويذبحون له الذبائح من الحيوانات والآدميين ويحرقون له المحرقات ويستخيرونه ويفضلونه على سائر آلهتهم وكذلك كان يفعل العرب لهبل . وكما ان هبعل اكبر اصنام المواييين ومن جرى مجراهم فهبل اكبر اصنام العرب وكانوا ينصبونه فوق الكعبة(٢) .

وعلى شهرة هبل الواسعة ، لا توجد لدينا فكرة واضحة عنه ولعل ذلك راجع الى قلة الاخبار عنه وعن غيره من الالهة، بينما هذه القلة نفسها انما تبتدىء في قسمها الاعظم بانتهاء عصور الوثنية اي في الوقت الذي لم يكن للرواة العرب انفسهم علم كاف بهذا الموضوع .

محمود الحوت

(١) ص ٦٦٠ جـ ١ Enc. of Rel. and Ethics (٢) النصرانية وآدابها ٩ ـ ١١٠ (٣) تاريخ ابن واضح اليعقوبي جـ ١ص ٢٩٥ (٤) معجم البلدان جـ٤ص٩٤٩ (٥) تاريخ الطبري جـ ١ص١٤١٧ـ ١٤١٨ (٦) الأصنام ٢٧، ٢٨ (٧) جـ٢ص٩١٥ Enc.of Islam (٨) السيرةص٥٠٤ (٩) اخبار مكةص٧٣ (١٠) نفس المصدرص٧٤

(١) جـ ٢ ص ٣٢٧ Enc. of Islam
(٢) انساب العرب القدماء لزيدان ص ٧١-٧٣

قصة الاحزان

لانعام الجندي

مرت به أعوامٌ !
أيام ! تتلو بعضها أيام !
والشوق والاحلام
والسحر والأنغام
والحب يغويهِ
يدعوه في أروى لياليه
والدرب!؟تغوو دربه الألحانْ!
ما البؤس ؟ ما الآلام ؟
ما الاحزان ؟
والنور يلهو في مغانيه
والظل يغريه !

إثنانِ ! في عينيها ألوانٌ
ألوانٌ ! من حلم الرؤى تهتان
يا ليل رددْ لي تراتيلهْ
مسحورة بالناي يهدي لهُ !
والعود يهذي، يا له من عودْ !
سابقنه يا غمّات الرود !
والكون مخمورٌ وبعض الورد
كاساتٌ! تستهوي عيون السهد
والنور يهمي الطلَّ
من قرصه المنهلّ
خمراً على شهدْ
في فرجة الشفتين منه وعدٌ
يا حلو ! يا حلو اللمى يا وعد

***

أعوامٌ !
مرت به أعوام.
أيام تتلو بعضها أيام !
واليوم بعض من بقايا زهر
حنّت لدنيا قبرٌ
ملقى على بعض دروب العمر
يا قصة الأحزان والتيهِ
عودي وغني لي لياليه !...
الحب والأشواق والاحلامٌ
واللهو والانغام
والورد والريحانٌ
والظل والالوان
ووردتان
من الليالي الملسٌ
كأسا هوى من أمس
والعشب فوق الرمس
يأتيه كفنٌ فرحة التيه !

الصنوبرة الهرمة

بقلم مطيع مورانيجة

من رابطة الكتاب السوريين

عبرت سور* الحديقة وانا ارتجف ، فتلك هي المرة الاولى التي دعتني فيها ، ثم تباطأت خطواتي قليلا قليلا حتى وقفت امامها وانا مطرق واجم .

آه ، انها تبدو أصغر بكثير مما كنت اعتقد يوم ان قابلتها لاول مرة ، وهي تنزل من العربة المتواضعة ، وتستأجر البيت الذي بجانبنا في مصيف الزبداني الهادىء ، فتركت مقابلتها الاولى في نفسي تأثيراً سحرياً ، فتمنيت ان تطول قامتي ويكثف شاربي وان يسمر لوني قليلا لابدو امامها رجلا حقاً .

ونظرت الى بذلتي القصيرة باشمئزاز وادرت ظهري لها ، ثم مشيت متثاقلا حتى اخفاني عن نظرها « باص » طويل ، وعندها اخذت اركض الى البيت .

ولاحظت امي بعد ذلك « ان عيوني قد غاصت قليلا » وان « اخلاقي تزداد سوءاً » وان شهيتي للطعام اخذت تقل ذلك « لانني اصبحت ذا نفس كبيرة تأنف من الالوان التي تقدمها » ولاحظت « انني اسهر كثيراً لسبب غير معقول وذلك من تأثير الروايات السخيفة الرذيلة التي اقرأها » وانني « اخذت من والدي اكثر عاداته السيئة التي طواها الموت منذ سنة » وانني اذا استمررت على هذا الحال « فسأنحف كالفأر وسيصبح انفي الكبير هو كل وجهي وذلك كما قالت شيء لا يطاق » .

ثم نصحتني بوجهها اليابس كالتين الجفف ان « ارجع الى عقلي واقلع عن غروري وفظاظاتي الكثيرة » .

قالت السيدة بهدوء : ــ اسمك ؟

فرفعت حاجبي الكثيفين وانا انظر الى عينيها الخضراوين اللتين تملاتاني بنظرة حانية ، طالما افتقدتها من امي الغليظة وتذكرت كلماتها الغاضبة :

« انك مثل ابيك لا تصلح لشيء » « وجهك كالقرد بشاعة » « لا تتعالى علي بكثرة معلوماتك فانت ومدرستك لا تفهم شيئاً » ..

وقلت للسيدة :

ــ اسمي احسان ، احسان جيرودي

ــ ماذا ؟... هل عيناها هما اللتان تفكرتا ام بحيرة خيالية ؟ وانسحت حدقتاها واخذت تتفرس في بدهشة ارسلت الى نفسي بعض الذل والحنق ، وخيل الي انني دينار زائف بين يدي صيرفي ماهر .

وقالت اخيراً ــ وقد لاحظت ان نبرة صوتها موسيقية كما هي العادة وان بحة خفيفة كانت تجرحني كالعنب الحلو ــ

ــ اريد ان اكلفك بمهمة .. هل تقبل ؟

واستندت على جذع الصنوبرة الكبيرة فوقنا بدلال وهي تنتظر جوابي ، فاخذت ابلع ريقي ، والتفت حولي كأني ابحث عن شيء ضائع ...

ــ طبعاً ... الذي تأمرين به ... انا مستعد لاية خدمة .

« ولاحظت انني اقتبست هذه الجملة من الحلاق المجاور عندما كان يخاطب امرأة مسنة في الاسبوع الماضي » وفاجأني صوتها ــ هل تعرف النادي الجديد في طريق المصيف القديم... تعرفه ؟ عال ... خذ هذه الرسالة وسل عن حسن ، حسن القباني واعطه اياها ، اسرع ، اسرع يا شاطر .

وكان يجب ان احنق لانني سمعتها البارحة تدحرج امام كلبها طابة وتقول له :

ــ هيه ... بوبي ... هاتها ، اسرع ... اسرع يا شاطر ولكني قلت :

ــ امرك يا سيدتي ... حالا ...

ثم استدرت بعجلة واخذت اركض دون ان التفت الى الوراء .

ووصلت الى النادي بعد نصف ساعة ، فسألت عن الاستاذ حسن القباني فخرج الي رجل قصير اعجف ، احسست بالكره له فمددت قامتي وقلت بوقار :

ــ رسالة لك يا سيد حسن .

فنظر الي بدون اكتراث ومزق الغلاف بهدوء اثارني ثم اخذ يقرأ ، ووجهه الذي يشبه الجمجمة يتقلص ، ثم تملاني بنظرة مزدرية وقال باختصار ــ انتظر ..

واختفى في احدى الغرف الجانبية وهو يهز كتفيه ، واخذت اتطلع الى جدران النادي : ثمة صورة رجل في الحائط يبرز عضلاته ، وهناك على الحائط المقابل ، صور كثيرة لممثلات وممثلين ، وتحتها تعليقات بالقلم الرصاص لم اكلف نفسي قراءتها وكانت تعلوها شهادة كبيرة للنادي بجودة لاعبيه موقعاً عليها

* اذيعت من محطة اذاعة دمشق

توقيعات كثيرة.

واحسست بيد توضع على كتفي وبصوت يقول : ـ خذ ...

فاخذت الجواب وخرجت حنقاً من هـذا المخلوق الذي لم يكلف نفسه عناء النظر الي وهو يعطيني الجواب .

ووجدتها تطل من نافذتها تنتظر وتحدق في الافق البعيد ولما رأتني لوحت بمنديلها ـ واظنه كان ملوناً بلون غيرمألوف ـ وسألتني ان اصعد اليها .

وقادتني خادمةضخمة الارداف ، حذرة النظرات الى مخدعها وكانت جالسة على طرف السرير في غلالة رقيقة تبرز صدرهـا الذي كان مبللا بالعرق لشدة الحر ، ونهديهـا اللذين تحملهما حمالة بيضاء عليها تطريز من قصب فغضضت بصري حياء ، ولكنها لم تشعر بشيء من ذلك بل كان كل همها منصباً على الرسالة مما اشعرني بتفاهتي ، ورأيت على وجهها نوعاً من الغضب المكبوت وهي تقرأ الرسالة...ثم انفجرت فجأة تقول:ـ النذل...الكلب...الجبان.

وقفزت عن مقعدي، وخيل إلي ان الكلمات تصفعني بمطرقة من اشواك ، واخذت اتراجع ببطء ، وانا اسمع سيل السبـاب يخرج من شفتيها الحمراوين « وقد كانت لا تطليها بالاحمر ابداً ولعلهما حمراوان من أكل التفاح اذ لاحظت بقايا التفاح في الاناء الابيض الموضوع فوق الطاولة » واخيراً احسست انني ما كدت اخرج من الباب هـارباً ، فكتمت غضبها ثم التفتت وقالت بلطف ورقة . ـ تعال هنا.

فتقدمت كاني اتعلم السباحة لاول مرة ، فنظرت الي طويلا ثم قالت بصوت غريب : ـ نفس الملامح...والطول...والانف، انك تشبهه دون شك. ثم اضافت بسرعة :

ـ اذهب ... اذهب وتعال غداً في مثل هذا الوقت .

وانطلقت وقد خيل الي ان دمعة كانت تملأ عينيها .

***

واخذت اتابع مهنتي الجديدة شهراً كاملا ، ولاحظت امي مرة ثانية انني « اصبحت كالبنات اقف ساعتين امام المرآة » وان الاناقة في المصيف عمل شاذ اذ انه يقتضي البساطة وانني استنفدت قنينة العطر التي اشترتها » وانني « ابدو مضحكا في الربطة المنتفخة المنقوشة كقنفذ آخذ بخناقي » الى غير ذلك من الاقوال التي كنت اقابلها بثورة جامحة ، وكانت تلمح لي بانني «لم اعد اهتم بها وبالبيت » وبأني «اصبحت كالمكنسة يستخدمها الناس غيرها » .

مضيت في مهمتي بحذر وانا ازداد كل يوم تعلقاً بالسيدة الغامضة الجميلة وكنت اسأل نفسي دائماً من يكون هذا الحسن القباني القصير الاعجف البغيض ، الذي بدا لي ان اجاباته للسيدة فيها تسلط و نفوذ كانه يملك قيادها واشتد تلهفي لمعرفة هذا السر.

كنت اسلمها الرسالة فتلاطفني بان تربت على كتفي وشعري كما تفعل لـكلبها بوبي ، وكنت اتمنى عبثاً ان تنظر الى شواربي وقامتي وأمارات الرجولة التي كنت احاول ان اظهر بها من رفع للحاجب واطباق الفكين وقلب الشفة .وكانت تلاحظ غضبي فتضمني الى صدرها الخافق في حنان مثير ، فاتمنى ان اقبلها في فمها وخدها،ولـكنها كانت تتخلص مني بلطف ثم تودعني الى الباب.

وفي يوم خانق الحر ، سلمتها الرسالة ، ووقفت انظر الى المداخن من خلال النـافذة ، وقد بدا دخانها يصعد في الجو عمودياً تحركه نسمة ، وكانت اشجار الصنوبر تحترق من شدة الحر ، ويخيل الي ان بريقاً وبخاراً يتصاعد من رؤوسهـا ، وكان يقطع الطريق رجل عجوز وقد نشر بمظلته البيضاء،وتوكأ على عصا انكسر مقبضها ، بينما كانت امراة تهدد بائع التفـاح بيديها في عنف ...

وفجأة ، سمعت صوتها ينشج ، فالتفت كالملسوع فاذا هي تبكي بحدة !! .. وخيل الي ان شراييني قـد اصبحت كالحديد المحمي ، كيف استطيع ان احفف عنهـا ؟ كيف ؟ ساقتل ذلك الكاتب الاعجف ، واستمر البكاء دون ان تلتفت الي وعندهـا فعلت شيئاً لم ادر سببه الى الان ... اكان يمكن ان يحصل ذلك. المهم انني صحت بصوت داو بانني لن اسلمها رسالة بعد الان ، وانني ضقت بحبهـا الدنس ، وانني لسعيد جداً اذا ما دعست صاحبها القمي، الاعجف باسفل حذائي ... وانني ...

ولـكن سكوتها الطويل ألقى علي لوحاً من الثلج، فهدأ غضبي وتمنيت ان انزلق هارباً من الباب ، ولـكنها قالت اخيراً بهدوء كأن شيئاً لم يحدث : ـ تعال هنا

نفس الجملة التقليدية التي لا اجد حيالها سوى ان اطيع،فتقدمت خاضعاً ، وامسكت بيدي في مرح وهي تجلسني في حضنها ، ثم ضمتني الى صدرها وشدت على اذني برفق وهي تقول :

ـ آه يا احسان .. إنك اصبحت مخيفاً حقاً ...

اصبحت غيوراً لا تطاق ، لقد خيـل الي انك ستقتلني فتمتمت في ارتباك ـ عفواً يا سيدتي ... اغفري لي ... لانني.

ـ اسكت انا اعرف ما تريد ان تقول،وساعفيك من مهمتك ، ولن اشق عليك بعد الآن ؟ خذ هذا الـكتاب الاخير...سأكتبه بينما تصنع الخادمة القهوة ...

ثم وقفت كلكلة متوجة وسرحت الى النافذة يصرها الحالم وعادت عيناها تبرقان ، ثم نادت بصوت قوي ـ يا منيرة !!...

وتحركت كأن النداء لي وصحتها تقول مرة ثانية بغضب:

ـ يا منيرة ... يا منيرة ..

وصمت صوت انغلاق احد الابواب الجانبية وصوت وقع خطوات ثقيلة ... ثم انتصبت الخادمة ذات الارداف الثقيلة على الباب ووقفت تنظر باحترام الى مولاتها التي اخذت تنظر من النافذة مرة اخرى . قالت اخيراً بهدوء خيل إلي انها تتكلفه :

ـ اذهبي الى بيت فؤاد وادعيه الى هنا ـ اسرعي سيّ

وقفزت الخادمة واردافها تتبعهـا حتى اختفت ، فنظرت السيدة إلي وفاجأتني بهذا السؤال ـ هل كنت تحب اباك ؟ ..

ـ من؟ ابي ...؟ ابي انا ؟ ووجدت يديها تدفعاني وهي تردد

ـ إذهب... اذهب وسلمه الرسالة الاخيرة... موعدنا غداً.

ولما خطوت نحو الباب صاحت قائلة ـ قف قليلا .. وفي اللحظة الثانية وجدت نفسي بين ذراعيها وهي تشبعني لثماً وتقبيلا .

***

كنت اسير في عالم سحري، الكتاب في يدي لذعة نار، وصدى قبلاتها يدوي في اذني فاحس بالدم في وجهي حاراً، وقلبت الكتاب بين يدي ثم فتحته لاول مرة بحذر « وكان لا تعلقه بالصمغ وهذا دليل على اماني » ثم قرأت فيه :

« اخي حسن ...

لن تراني بعد الان ... ادعّ لنفسك الشرف ما شئت ، لقد قلت اني في اشد الحاجة لمئة ليرة ، ولكنك ابيتها علي ، وانت الذي تربح ما تربح . لقد كان خطأي اني قاومت فؤاداً والتجأت اليك وانا اعرف اني استطيع ان اغرف من ماله ما اشاء ... ولكنك كنت دائماً الرجل الذي يتكلف الفضيلة ... والان لن اراسلك ولن تراني ولتذهب الى جهنم » اختك منيرة

صرت في مكاني، وتلاحقت ضربات قلبي فتلفت حوالي بذعر إذن فهي اخته ولا أشك انها في ضائقة مالية شديدة. يا الكلب ، سأكتم انفاسه ، سأقطع رقبته ... سأ... ومددت يدي الى جيبي مئة ليرة يا ... ! واصطدمت اصابعي بالليرة اليتيمة التي اعطتها لي امي عن جمعة كاملة ...

ماذا افعل ؟ خطر لي ان ابكي لالمها ، ولكن ذلك بدا لي عملا احمق !! لماذا لا اصفر مثلا ، او اغني اغنية شائعة؟ ولكن لا، شيء بارد ، بارد جداً ، إذن فلأستقم الصمت ، وذلك ما عجزت عنه ايضاً فركضت مسرعاً كأني واقع تحت كابوس فوضعت الكتاب في النادي وعدت الى البيت كالمجنون .

ـ أمي ... يا امي ... يا حبيبتي الا تسمعين ؟

اريد مئة ليرة ... اقول مئة ليرة! نعم أنا مجنون انقذيني بمئة ليرة ، فقط مئة ليرة يا ناس يا عالم ، لا تضربيني بعد الان ... آخ ، انا لست طفلا ، اريد مئة ليرة او أنتحر.. اموت.

وعندما افقت في اليوم التالي كانت اسناني غارزة في الوسادة.

***

لبست مسرعاً وخرجت الى الحديقة المالوفة ... يا لله النوافذ مغلقة في هذا الحر ؟ هذا ليس ممكناً !!..

وطرقت الباب فخرج الى البستاني وصعدني بنظرة بلهاء وهو يقول .. ـ نعم ..

ـ السيدة يا سيد عبد الفتاح .. السيدة .

ـ لقد ذهبت صباحاً وتركت البيت ـ ماذا ؟

ـ ذهبت صباحاً برفقة شاب اسمر طويل اسمه على ما اظن ..

ـ نعم .. نعم ـ اسمه.. اسمه يا عبد الفتاح .. اللهم صل عالنبي آه اسمه فؤاد ـ فؤاد ـ ابوه ـ فؤاد آ .

واستدرت الى البيت وانا مشلول ارتجف كأني احمل جبلا من الثلج فنظرت الى امي وقالت بخبث : ـ ما بك ؟

ـ لاشيء ابتعدي من طريقي

ـ اخرس يا ولد .. يا قليل الادب

ـ قلت لك اذهبي من وجهي !! ..

ـ ها لقد رحلت اذن ... وخلصتنا من شرها ودنسها هذه اللعينة الفاجرة .

والواقع ان دهشتي فاقت غضبي وخيل الي اني ساصفع امي صفعة يحمر لها وجهها الاصفر . ولكني تمالكت نفسي وصحت.

ـ انها خير منك .. انها سيدة راقية .. انت لا تفهمينها يا امي .. انها اكابر .. اما نحن

ـ ها .. ها .. اكابر !! هل تجرؤ على القول ان هـذه الفاجرة خير مني يا كلب ؟ هذه المومس الشهيرة التي ضج المصيف من عهرها !! لقد اورثك ابوك اخلاقه السافلة .. يا .. يا

ولم اسمع كلماتها الاخيرة .. ودوت اذني .. مومس شهيرة .. ضج المصيف .. لقد استغفلتك .. انها كانت تعرف اباك ..

وداورت الارض حولي وخيل الي اني في بئر لا قرارة له . وان الصنوبرة العتيقة قد فغرت فروعها الوافرة في اسفل البئر ، وتلقتني اشلاء .. اشلاء !! ..

دمشق سعيد حورانية

اعتراف شمعة

☆

لأحمد سويد

من اسرة الجيل الملهم

☆

من خزائنها المعطرة انتزعتني
ومن نعيمها الدافىء طردتني.
وفوق رأس سريرها ثبتتني!!
قالت : يا شمعة !
رسالة من الحبيب حمّلها نجواه
في انفاسها طيب ، وبوحُ آه
حنانيكِ.
شعاع نور من مقلتيكِ
يدس النور في عينيّ
ويعيد أحلامي الشاردات اليّ
هاتيه يا شمعة .
وخذي ، مع كل ارتعاشة ، دمعة
تنبع من قلبي ، من اعماق قلبي
من دمي الفائر ، ولظى شفقيّ .
هاتيه يا شمعة .
وبحق الفراشات الحائمات على اللهب
والتي كحّل باللون البهي أجنحتهن
بحق حب وفيّ يائس
جمعهن حولك ليحرقهن
بحق الوفاء ، لا تشي بي يا شمعة
وبالظلام ارفقي
وبأجفان أمي !
إن مسحتها بالنور يا شمعة
جفاها النوم
وهاجأت في مخدعي طيفَ الحبيب
ورسول هواه المضمخ بالطيب
بالله يا شمعة :
ارفقي بالظلام واجفان امي

***

وكنت ألفظ النفس الأخير
حين لاحت من الفجر غرة
وتناهى اليّ صوت عندليب
والعذراء ، ما لبثت أمامي راكعة
لقد أذاب دمعها الرسالة
ولم يُبق منها سوى الطيب

بداهة الفلسفة في شعر ابي ماضي

بقلم نسيم نصر
مدير اللغة العربية وآدابها في الكلية الوطنية بالشويفات

لماذا هذا العناء ؟ ولماذا ذلك البحث المجهد ؟ أأنت طالب فلسفة مجدية بانية في الحياة ؟! اذن فاترك ساعاً قواعد اعلام الحكمة ومبادئ أقطاب الفكر !...دعها هناك على رفوفها ، فقد تعجزك بلاغة المنطق عن فهمها ، وقد يزيدك تضارب الآراء فيها وتنافر النواميس بينها حيرة على حيرة وضلالا فوق ضلال ، ان لم يهدم تشاؤمها ما بيت من نفسك وما عمرت من قلبك ... وتعال معي الى « جداول » ابي ماضي و«خمائله» تنعم بالفلسفة المنظومة وتنهل من معين الحكمة الموقعة، في اطوع قافية واسهل بيت وآنس طبع .

جداول اجراها الشعور وخمائل شذ بها الحس . ولست بموصيك ، وانت مرافقي ، في هذه النزهة الشعرية ، الا ان تحمل حبك معك . وما حبك الذي الزمك صحبته ، غير مفتاح النور ، الكاشف لك عن مسالك الانسان ، في ألين دروب فلسفته واقوم مقاصد فكره ونزعاته ، او هو منبه شعورك المنقى على سرير الانانية المخدرة فيك احساس الانسان الاصيل . فاسمع ابا ماضي يقول :

أيقظ شعورك بالمحبة ان غفا	لولا الشعور الناس كانوا كالدمى
أحبب فيغدو الكوخ كونا نيرا	وابغض فيمسي الكون سجنا مظلما
لو لم يكن في الارض الا مبغض	لتبرمت بوجوده وتبرما

أرايت ان ابا ماضي هو الذي حملني على ان اوجب عليك ان تصطحب حبك لتستطيع الارتواء من عذب جداوله والتطيب بنفحات خمائله ، لان الارض ، على رحبها ، لا تتسع لمبغض واحد ، ولعل له في حكاية قايين ، القاتل الاول ، والمتبرم الاول بوجوده ، وهو يملك الارض ، بعد مقتله اخاه هابيل ، الشاهد المفحم بصحة الضيق الذي يحدثه البغض ، ذلك الضيق النفساني الذي تتكمش به المساحات وتنطوي المسافات، بعد ان تموت انسانية الآدمي بموت المحبة في نفسه، وما شخص الانسان، ان ماتت انسانيته، غير مخلوق اعنف منه البهم واقرب الى الاذى من الضواري .

ولقد كان في مقدمة من تذوقوا عذوبة جداول ابي ماضي، مجموعة الاديب التأملي الكبير ميخائيل نعيمه، فقال في بعض ما قدمها : « بين هذه الجداول ما تنساب روحي معه ، مترقرقة، مترنمة مطمئنة ، هائمة بنور في عينيها، وجمال في جانبيها . مرحة بحرية لا ارصاد عليها ولا قيود ، ومدى لا آفاق له ولا حدود ... »

والى الجداول التي قدم لها نعيمه بجمع الخمائل هنا فتبها محور الكلام للباحث عن قيم الانسان ، تتوثب الى العين والفكر والقلب والنفس ، من رحاب لا يتناولها قياس ، وفي شدو يفيض بالشعور الشامل ، جامعاً من صاوة الفلسفة ، في هينات الشعر ، بديهيات طيبات الجنى ، دونها في تسهيل الفلسفة وتقريب فوائدها ، كل تصنيف جامع وكل مخاض عقلي موجع ...

انا بين جداول ابي ماضي ، اقرأ « فاتحتها » فاتفتح له جوانح ذاتي عند قوله :

« هذه أصداء روحي فلتكن روحك اذنا »

وباذن روحي اصغي اليه وارافقه ، في طواف خيالي بالبحث عن « عنقائه » محساً ببداهة الشاعر المتكف على ذاته الشاعرة الباحث في آفاق روحه عن السعادة، ضالة الانسان، في كل زمان ومكان ، فاسايره متحرياً جوانب الارض واطباق الفضاء، وبعد عبث البحث يعود ليشعرني بوجود عنقاء السعادة قائمة في دمعة الانسان المتألم الم الكبرياء النفسية، المتطلع الى حقيقة الانسان ،

ذلك التطلع الذي لا تتكشف له السعادة في غير مكامن الذات البشرية الخالدة ، فيلخص فلسفة وجودها بقوله :

« عصر الأسى روحي فسالت أدمعا فلمحتها ولمستها في ادمعي
وعلمت حين العلم لا يجدي الفتى أن التي ضيعتها كانت معي »

ولئن كان ابو ماضي يبدو دامعاً في نهاية هذه القصيدة دمعة الروح المجنحة التي قد يحسبها عليه الناظرون الى سطحية الشعر نزولا الى مباح من الضعف واللجوء الى الدمعة ، فانه في قصيدته « ابنة الفجر » يجسم البطولة في اروع معانيها ، موصياً حبيبة روحه ان تضبط نفسها عن مظاهر الضعف وتستعلي عن اسفاف الشكاية اذا ما ودعته ميتاً فيقول :

« لا تقولي واحسرتاه لئلا يدرك الشامتون ما تضمرينه
وتقول العذال عنك بخيل هو خير من قولهم : مسكينه !! »

وحباً بالايجاز نلم بقصيدته « الطين » ففيها طبع فلسفي ، فيه من السذاجة بقدر ما فيه من السمو ، فيسمو بقارئها الى آفاق الانسان النابي عن دنيا التراب ، مؤنباً الانسان المتد بحطام الارض ، بشعر ان فاتته أناقة التعبير فلا تعوزه روعة التصوير . فاسمعه يقول :

« نسي الطين ساعة انه طين حقير فصال تيهاً وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد
يا اخي ، لا تمل بوجهك عني ما انا فحمة ولا انت فرقد »

وبعد ان يرسم خطوط الحياة الفضلى ، القائمة على ركائز خالدة صادقة ، في تعريض يصفع كبرياء المزهوين بالثروات الزائلة ينتهي بقوله :

ايها الطين لست انقى وأسمى من تراب تدوس او تتوسد
ان قصراً سمكته سوف يندك وثوبا حبكته سوف ينقد
لا يكن للخصام قلبك مأوى ان قلبي للحب اصبح معبد
انا أولى بالحب منك واحرى من كساء يبلى ومال ينفد .. »

اما قصيدة « انا » والانانية عدوة الانسانية ، ففيها نحو رفيع من ساحة الذات البشرية المجهزة بمناعة الروح نذكر منها :

« اني اذا نزل البلاء بصاحبي دافعت عنه بناجذي وبمخلبي
وشددت ساعده الضعيف بساعدي وسترت منكبه العري بمنكبي
وارى مساوئه كأني لا ارى وأرى محاسنه وان لم تكتب
والوم نفسي قبله ان أخطأت واذا أساء الي لم اتعتب »

ولعل خير ما جاء به ابو ماضي في بداهته الفلسفية هذه الوحدة المتماسكة ، فانت لا تستطيع ان تفاضل بين قصائده من نحو الانسياق المؤتلف ، فكلها تتساوق لتقدم لك خلاصات رائعة سامية النفس ، خلاصات الانسان الذي نفض يده من تلمذته على الانسان الترابي ، ليتلمذ على انسان الروح والطبيعة الام الحنون المخضب تاريخه بالدم فيقول :

« نهاني عن قتل النفوس وعندما رأى غرة مني تعلم بي القتلا
وذم الي الرق ثم استرقني وصور ظلما فيه تمجيده عدلا
وكاد يريني الاثم في كل ما ارى وكل نظام غير ما سن مختلا ... »

ولكنه يريدك ان تصفح عن هذه المساوىء ، التي تصدر عن الانسان المسيء فهم انسانيته ، فالدنيا حافلة بالبدائع وهاك فلسفته في ذلك في قوله :

« دع المساوىء في الدنيا فما برحت فيها محاسن تنسينا مساويها
كم حاول الليل ان يطوي كواكبه فكان ينشرها من حيث يطويها »

واذا ارادك ابو ماضي ان تدع المساوىء في الدنيا وان تقدرها بمحاسنها ، فلانه يرى ان تدرك الله ، وان تأنس الى آياته في هذه الارض وما يحيط بهما ، ادراكاً عقلياً ، فالعقل وحده يستطيع ان يفهمك ملاحة ما تقع عليه حواسك ، ومن تفهم ملاحة الخليقة هشت روحه وارتاحت ظنونه وعاش مطمئناً ، وهاك قوله في هذا المعنى :

« صور وآيات تفيض بشاشة حتى كأن الله فيها يبسم
فامش بعقلك فوقها متفهما ان الملاحة ملك من يتفهم
أتزور روحك جنة فتفوتها كيما تزورك بالظنون جهنم ؟! »

ولذلك فهو يكثر من ادخال هذا المعنى ، معنى الغبطة الناتجة عن مهمة العقل ، المعرض عن الشكاية والتشاؤم ، تلك الغبطة الخلاقة التي تهيء السعادة تهيئة عجيبة فيوصيك بها لتكون كافلة هناءتك اذ يقول :

« ايها الشاكي الليالي انما الغبطة فكره
ربما استوطنت الكوخ وما في الكوخ كسره
وخلت منها القصور العاليات المشمخره
تلمس الغصن المعرى فاذا في الغصن نضره
واذا رفت على القفر استوى ماء وخضره
واذا مست حصاة صقلتها فهي دره

***

ايها الباكي رويدا لا يسد الدمع ثغره
ايها العابس لن تعطى على التقطيب أجره
لا تكن مرا ولا تجعل حياة الغير مره

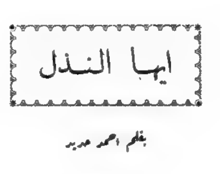

بقلم احمد عديد

تقدم ليضع رجله فوق اول درجة من درجات سلم الطائرة حينما استوقفه مراقب الامن العام ليعطيه هويته الشخصية ، فتناولها دون أن يلتفت اليه ومضى يصعد الدرجات الاربع الباقية.

عبر الصالون ثم تلفت يمنة ويسرة يلقي نظرة عجلى على مقاعد الطائرة .. فاختار اول مقعد يلي غرفة المحركات ، وكان موضع هذا المقعد يلائمه هذه المرة ـ لان العادة جرت ان يزهد الناس في المقاعد الامامية ـ فقد كان يشعر بحاجة الى عزلة نسبية لا يزعجه فيها لغط المسافرين .

وتهالك فوق المقعد وترك رجليه تسترخيان كيفما اتفق واسند رأسه فوق يديه محاولا ان ينام ، فلقد أرق طوال الليلة الماضية ، وإنه يشعر الآن بردود هذا الارق جمراً يتقد في رأسه وجفافاً في حلقه ولساناً يحاول ان يتحرك فلا يستطيع .

وكان اكثر ما يعذبه .. هذه المشاهد التي تبرز له مبهمة غامضة ثم تتوضح شيئاً فشيئاً لتتجلى عن صورة فتاة شقراء في ثوب فستقي تقلب بين يديها منديلا ازرق اللون ، تنظر اليه عاتبة ثم تلوي رأسها الى الخلف وعلى شفتيها بسمة ساخرة . وكان في كل مرة يهز رأسه هزات صغيرة متتابعة يحاول طرد هذه الصورة

ان من يبكي له حول على الضحك وقدره
فتهلل وترنم فالفتى العابس صخره

هنا يعود الشاعر الضاحك ليلتقي بداهته الفلسفية بمبدا الفلاسفة الفأليين « Optimistes » القائلين بان الضحك هو الخاصة الفضلى المرفهة عن الانسان همومه والماحية عبوسته حتى اعتمدها بعض العلماء ، فعرفوا الانسان « بالحيوان الضاحك » . وكأن من فقد هذه الظاهرة من الناس فقد تجرد من انسه وربما من انسانيته وتعمد بالهم والشؤم القاسي ...

وهكذا نجمل القول في ان ابا ماضي يصدر في كل ما يشدو به عن انطلاقة فلسفة شعرية توشك ان تكون من السهل الممتنع ، تتهادى وادعة سامية ، صافية سائغة ، في نسيج من الشعر تفرد به ، في الادب العربي ، فشقت دروباً الى الاسماع والقلوب والافكار ، مكتنفة بالظلال مطيبة بالفوح لتستقر قوت مشاعر للاجيال.

وهذه الانطلاقة الفلسفية يشدوها باسم لبنان مشيراً الى ذلك في قوله :

« انا من مياهك قطرة فاضت جداول من سنا
انا من طيورك بلبل غنى بمجدك فاغتنى
حمل الطلاقة والبشاشة من ربوعك للدنى ... »

. وكم نحن بحاجة الى الاقبال على مثل شعر ابي ماضي نرتاح الى الحمشانه ، في هذه الاجواء المهددة بالعواصف والموحية بالشؤم لاكبر المؤمنين بمواهب الخير في الانسان .

نسيم نصر

المعذبة ، لكنها كانت في كل مرة ايضاً تمعن في تعذيبه فتلاحقه وهي أكثر وضوحاً واصرخ الواناً . لم يكن جانياً ليستحق مثل هذه النظرات ، بل إنه لا يرى في تصرفاته معها ما يؤاخذ عليه.. لكن المصيبة كانت في الملابسات السيئة التي اكتنفت علاقتها العابرة تلك الملابسات التي جعلت منه في نظرها نذلا والتي جعلتها تلعنه بهذا العتب وهذه البسمات التي تقطر سخرية ومقتاً ، وكانت الكلمة لا تزال تحفر في اذنيه حينما بصقت بها في وجهه .. نذل .. ليت الارض تبتلعه وليته لم يولد ليسمعها .

ضاقت نفسه كثيراً .. وكان دوي الكلمة المهينة يجعله يعود مرات ومرات يستعرض القصة من اولها ، ينقب فيها ويبحث ليرى إن كان في تصرفاته معها ما يستحق هذه اللعنة .. وحاول هذه المرة ان يبدأ من جديد : إنه يصعد سلماً حجرياً ضيقاً .. وإنه لينظر خلفه بين الفينة والفينة ليتثبت من ان احداً لا يتعقبه . ها هو قد بلغ نهاية السلم .. ودفع باباً خشبياً يؤدي الى سطح البناء ، وعلى باب احدى غرفتين متلاصقتين على السطح وقفت امرأة بدينة ، يشع في فمها سن ذهبي ، ترحب به في همس .. وقادته من يده كلصة ولص لتدفعه الى غرفة صغيرة مؤثثة ، وتغلق خلفه الباب ..

جلس على اول أريكة صادفته ، ومد ساقيه الى الأمام يضغط بكعبيه ارض الغرفة ليقاوم سريان تيار كان يطغى في عروقه .. تيار مبهم مضطرب لذيذ يشعر بتدفقه كلما فكر في انه مقدم على مغامرة جنسية . وراح يستعرض في ذهنه ما يعرف عن بنيات هذا البيت .. من ستكون نصيبه يا ترى ! اهي سمت ذات الشعر الخرنوبي والوجه الملائكي والشفتين البريئتين اللتين لا توحيان بانها ملتا قبلات الدنس !! ام اختها إقبال .. لعنها الله انها شعلة متقدة من الاضطرام الجنسي .. فتاة .. تمرست حتى عرفت الطريق الاقصر الى استنزاف آخر قطرة من ماء الحياة في الرجل وتعطي حينما تذكر انه سوف يطبق على هذه الشفة التي ترتفع قليلا الى العلاء في تمرد .. وهذا الجسد بلون الصبح تتكور احجامه تحت ثوب من الساتان الاملس .. وثارت غريزته فانقلب كوحش زائغ البصر يكاد يحرق بنظراته المحمومة باب الغرفة ليهوي عن جسد غانية طرية . وفتح الباب ودخلت امرأة .. فصر باسنانه وضغط بظهره على المقعد ثم رفع رأسه ببطء شديد يقاوم عوامل الشهوة تتلظى في كل جارحة فيه .. والتقت عيناه بعينيها فابتسمت له ثم جلست على مقعد مقابل له . نظر اليها كقط جائع واظافره تنغرز في راحة يده ، والتيار العرم من الرغبة العاتية يتدفق من رجليه صاعداً يهدم جسمه حتى يحتبس في وجهه يريد الافلات .

اومأ لها ان اقتربي .. وحاول ان يشفع الايماءة بكلمة ، فخرجت من فمه طقطقة خشنة مبتورة لا تفيد معنى .. لكنها لم تتحرك ، بل بقيت في مكانها تنظر اليه نظرات غريبة متسائلة .

.. وكانت الشهوة القانية قد استبدت به فقام اليها يخطو متقلصة يبغي اخذها في احضانه ، لكنها افلتت منه بخفة ووقفت في زاوية بعيدة عنه وفي عينيها توسل وعلى شفتيها خيط من بسمة موؤودة .

استشكر في نفسه منها هذا الموقف فهدأ من حدته قليـلا ليقول لها : هل انت جديدة على هذا البيت ؟ فاومأت أن نعم . قال ولم تبتعدين ؟ قالت .. ولم اقترب ؟!

اذن فانت لا تعرفين اين أنت ! قالت بل الان عرفت ..

وتقدمت منه وفي صوتها ضراعة صادقة .. اسمع قصتي اولا ثم افعل بي ما يروق لك ..

كانت تتكلم همساً وفي عصبية ظاهرة ، وكانت ترفع يدها بين آونة واخرى لترد خصلة من الشعر الاشقر تهدل فوق وجهها الشاحب .

وفهم منها ما ارادت ان تفهمه اياه بسرعة انها غريبة حتى عن البلدة ، وقد خدعتها هذه المرأة البدينة فاستدرجتها الى هذا الوكر ، وهي تستثير شهامته ورجولته لينقذها من براثن هذه الافعى دونما ضجة او فضيحة .

وفكر بسرعة .. كيف يفلت هذا الصيد النادر من يده . ! فتاة لم تدنسها كف شهوة وهي بين يديه كزهرة تتفتح على الطل لاول مرة ! حاول ان يخمد صوت ضميره وان يكون بلا شعور ولو هذه الدقائق فقط .. الا ان صورة برزت له في وجه هذه الفتاة جعلته يسحب يده من يدها ويبتعد عنها .. صورة مدينة عريقة في المجد وفتيات درجن فيها طاهرات ، صورة الريف البريء الذي لم يتصل به الدنس ولم يعرف العهر ولا الخيانة .

وشزرها بنظرة كظيمة وهو يقول .. حسناً ساحميك يا فتاتي لكن على شرط ، قالت ما هو ؟ قال : ان اراك خارج هذا البيت .. سابقى هنا وتنزلين انت ثم تنتظرين مجيئي .. قالت أقبل وكلي ثقة بك .

دلفت نحو الدرج على رؤوس اصابعها ، ودخل هو غرفة

صاحبة البيت التي بادرته بالسؤال عن الفتاة وفيما اذا مـا كان قد قضى وقتاً طيباً معها .. فشكرها ودس في يدها ورقة مالية صغيرة افترّ لها ثغرها عن ابتسامة عريضة واتجهت نحو غرفة الفتـاة تناديها .. واستغل هو الفرصة فانفلت الى الشارع تاركاً وراءه سيلا من الالفاظ المنتقاة والعويل الوقح ..

ووجدها في المكان الذي اتفقا على اللقاء فيه تنتظره ..مط شفتيه وهو يدمدم .. يالله كم هي رائعة !!! وشعر بنشوة مسعدة وهو يأخذ بيدها ليستقلا احدى السيارات العامة ، واحس بها بجانبه سعيدة نشوى بعد هذه المفارقات والحوادث المربكة .. والقت بيدها على ركبته تضغط عليها معبرة عن شكرها العميق وهي ترنو اليه بنظرة زلزلت كيانه ، فابعد يدها عنه بجفـاء ، وانزوى في ركن العربة يجرض بريقه شأن مدمن يهم بابتلاع كأس من الخمر مترعة فيأتي من ينتزع منه هذه الكأس عنوة.. لقد كان في صراع مع نفسه .. ها هي بجانبه تنضح فتنة وانوثة لكنه قال كلمته وانتهى الامر وهي الآن محرمة عليه .

وراحت السيارة تجوب شوارع دمشق تكاد تحصيها عداً ، وهو لا يزال في اطراقه .. وفجأة امر السائق بالوقوف في احد المنعطفات وفتح الباب يطلب اليها مغادرة السيارة ، وتطلعت في

وجهه مستفهمة ثم همت باطاعته .. ولما شعر بها تضع رجلها على الارض غامت عيناه وشعر بقلبه يقفز من بـين جنبيه وشدت انشوطة خانقة على عنقه ، فتعلق بها تعلق الغريق بمنقذه يجذبها الى جانبه ثانية وهو يشير للسائق ان يسير .

كانت القضية بالنسبة اليها سراً مغلقاً ، فكانت في حيرة من تصرفاته الغريبة .

وكأنها فطنت بغريزتها الانثوية الى ما يعانيه هذا الرجل ، فاستدارت اليه تثبت عينيها بعينيه تقول له بقوة وجرأة : ماذا تريد مني فهز كتفيه بيأس دون ان يجيب ، فلقد كان هو بدوره يسائل نفسه هذا السؤال .

وخطر له خاطر سرعان ما بادر الى تنفيذه : ما رأيك لو شربنا قدحاً من الشاي في بيتي !

ولما انفرد بها في غرفته جلس قبالتها يريد ان يقول لها اشياء كثيرة حضرته ، يريد ان يقول لها انها اعجبته وانه فتن بها يريد ان يعبر لها عما يشعر به شاب لم يعرف المرأة الا فاجرة حينما يبهره نور الفضيلة والعفة ممثلة بفتاة . يريد ان يصف لهـا هذا الرباط السحري الذي يشده اليها .. بل انه ليجرب ان يفاتحها في ان تكون شريكة حياته .. وفتح فمه ليتكلم .. وفتح باب الغرفة وانسلت امرأة الى الداخل تضع يدها فوق خصرهـا الفيت .. هيا حبيبتي اخرجي من هنا ! لقد كذب عليك هـذا المغرور كما يظهر فاستدرجك الى بيتي .. انه عشيقي ويحاول دائماً ان يثير غيرتي باصطحابه فتيات مثلك . وتمنى انك لست اولى ضحاياه ! صعقت الفتاة واربد لونها واخذ صدرهـا يعلو ويهبط ، والتفتت اليه وعيناها تصفران واسنانها تصطك ورمت في وجهه بكلمة لا ينساها ما عاش .. انها النذل ..وطاش صوابه واسرع الى صاحبة البيت يقول انهـا الكاذبة لعنك الله وهو يدفعها كالمجنون الى الخارج ، وحينما عاد ليوضح الموقف للفتاة وجد الغرفة خالية ..

***

الطائرة تهبط في مطار تحوطه مزارع القطن ، وها هو في سيارة الجيب في الطريق الزراعي الضيق يقصد البلدة . لكنها حتى هذه اللحظة لم تتركه يهدأ .. ففي كل منعطف ، ووراء كل شجيرة قطن عالية .. كان يرى فتاة شقراء ترتدي ثوباً فستقي اللون و بيدها منديل ازرق تبصق في وجهه .. انها النذل ..

القامشلي سوريا — احمد عدير الحمامي

١ ــ ارض الشهداء

لابراهيم العريض ــ ملحمة شعرية ــ ١٤٤ صفحة ــ ورق صقيل مزين بالرسوم ــ منشورات دار العلم للملايين بيروت

ارض الشهداء ملحمة شعرية عن مأساة فلسطين لشاعر البحرين ابراهيم العريض واخراج دار العلم للملايين في بيروت. واسم العريض ليس غريباً عن عالم الشعر «فعرائسه» ما زالت تثير في الافئدة والاخيلة ، فيضاً من الاشراق والبهاء ، وقصيدته « البتيمة » التي نسج فيها شعراً قصصياً عذباً حول اسطورة عربية قديمة ، من اجمل الشعر دلالة على موهبة العريض الشعرية والقصصية . اما السرد الجميل ، المتموج بالموسيقى ، العابق بالصور ، فلعله ان يكون من سمز الشاعر بل من اعظم ما خص به .

يا فلسطين وما كنت سوى بيعة الارض على كف السماء
اشهدي ان بيانى قد روى فيك ما يروي قلوب الشهداء

هذه التربة قد غنى بها اهل الحداد
كم زكا المسجد من اعراقهم بعد الفناء
كم بكى الغيث على اجسادهم وسط العراء
كم ربيع مر لم يمرج عليهم بهناء
فاستمر العود عوداً ما به ادنى رواء
وشتاء طال حتى مل من فرط البلاء
وتمادى الظلم فيها للغزاة ادعياء
فكأن الليل شيء ما له معنى انتهاء

هكذا يستهل العريض ملحمته فيضعك تواً في جو المأساة ثم يبدأ النشيد الاول « جبل الزيتون » في هذا النشيد يصور الشاعر حياة الفلسطينيين العرب تلك الحياة الريفية الوادعة كما يعرفنا الى بطل الملحمة الراعي « ظافر » وهو يمثل الشاب العربي العادي الذي هب لقتال الصهاينة وحماية دياره ومقدساته ويلتقي ظافر بحبيبته دعد ويتناجيان .

ورآها .. فرأى في قلبه الشمس مضاءه

قال : يا حياك واقتر لبيليها بجاءه
ماذا طرف حي بدهها غطت حياءه
ليت شعري هل وعى الجيزاء اذ مالت رواءه
اسفري اختاه من يجهل في الارض اباءه
غر عينيك اما خالط ذوب السحر ماءه

ثم تنقضي النجوى الحالمة بظافر الى شؤون الساعة فيترك الشياه السارحة والمراعي الخصبة والحياة الهنيئة وينطلق الى ساحة القتال :

ومضى يعلأ افق البيد بالالاء حكمه
وحده بين شياه رزمت في وسط غلمه
غير نار لبث السنها تخطف رسمه
واحس البرد في اطرافه يشحذ سهمه
فانثنى متلفعا بالبرد يطوي فيه جسمه
واذا النوم بجفنيه قد استأثر رسمه
فرأى حلما قبيل الصبح هل يذكر حلمه؟

حلم رهيب خيل له الاعداء المغتصبين يغيرون بصورة ذئب يلوح له في النوم فيقاومه ويصرعه .

اما النشيد الثالث فقد خصصه الشاعر لمعركة باب الواد وسماه باسم هذه المعركة الشهيرة : في هدوء الليل وقد قابل البدر في صفحة الوادي خياله ويمشي كالفضة في الماء جاله لبث الابطال المجاهدون يتربصون بالعدو ثم ساروا :

كل شيء ساكن قد هادن القدراء الا
جدجدا يرعش بالعشب صداه حيث حلا
قال لا يذهلك عن موعدها ما تتحلى
انني اشتق ريح الفجر من حول المصلى
ثم تبادرها مع الفجر فان الليل ولى

وتندلع نيران المعركة وتدوي الطلقات من خلف كمين ظافر فيسقط الاعداء مجندلين وتحترق سياراتهم وينهزمون واذا الفتية معقود على السفح لواها من لؤى وكلاب وتميم وسواها وعلى رأسهم حمدان يرعاه اقتباها قد حمى القبة :

من شر قبيل قيل تاما ود في تحرم إليهم فباءوا بلظاها

وهكذا وعلى هذه الوتيرة القصصية الشعرية تتوالى اناشيد ملحمة « ارض الشهداء » فيطالعنا منها شاعر لم تندفع به الحماسة الوطنية خارج حدود الشعر والفن ولم يتقيد بمفهوم الملحمة وتعريفها التقليدي فارض الشهداء ادنى الى ان تكون قصة شعرية وبغية تمجد ليالي فلسطين وارضها . وانهارها وجيزها

كسائر الناس يستمتع بالهواء ويستطيب الرحلة ويعشق السياحة وحسبه هذا . كلا ، فان اميل لودفيج يسمع في كل لطمة من لطمات الموج اخبار معركة طاحنة من معارك التاريخ ، ويصيخ السمع فيرى على كل رقعة من رقاع شواطىء البحر آثار حضارة درست او نهضة بعثت او امبراطورية تداعت او عروش ثلت او ممالك نشأت . فلودفيج يعيش مع البحر كانما يعيش مع كائن حي يناجيه ويحاوره ويسأله عن اسراره ودفين صدره ويعالج مشكلاته الماضية ومشكلاته الحاضرة ويروي من صفحات التاريخ ما كان منها ذا صلة بالبحر الوسيط ، فيحدثك المؤلف عن الفينيقيين وعن الاغارقة وعن الرومان وعن العرب الاندلسيين وعن تركيا العثمانية . ويحدثك عن ممالك هذا البحر وجمهورياته ، وعن مدنه ومرافئه وعن منائره ومخافره وعن جزره وتنوءاته وعن حيوانه ونباته وانسانه

يحدثك عن الدين اذا آنت مناسبة الدين . وعن الفلسفة اذ عرضت سانحة للفلسفة وعن العلم بفنونه وفروعه اذا دعاه الى ذلك داع . يحدثك عن الاباطرة الذين نشأوا على ضفاف البحر المتوسط ، والاكاسرة والقياصرة الذين ادعوا السيطرة على هذه البحيرة ، وعن القرصنة ولصوص البحر وعن التجارة وكيف تجري والصناعة وكيف تعتمد على هذا البحر الجبار وعن الزيت وكيف تفتحت له ثغور على البحر المتوسط ، وعن المضايق والمسالك والقواعد ، وعن المذاهب السياسية التي كان حوض البحر المتوسط مسرحاً لصراعها ، وعن المزايا التي يعرف بها كل شعب استقر في هذه الرقعة ، وعن الصحارى المطلة على البحر وعن الملاحة والدول السباقة فيها وعن الفنون الجميلة التي ازدهرت في الاحقاب المختلفة .

فالبحر المتوسط بحر ثقافات وسياسات وفلسفات وحضارات واحداث ومغانم تجارية . تزداد منزلته ارتفاعاً في عالم اليوم نتيجة لوقوعه بين قارات ثلاث واتصاله باهم المضايق في العالم كمضيق الدردنيل ومضيق قنال السويس ومضيق جبل طارق ، تهفو اليه قلوب الدول جميعاً فصارت شواطئه وجزره مبثوثة بالقواعد العسكرية والحربية ، وصارت مياهه مألوفة للسفن الحربية

بأنواعها لكثرة ما قامت فيه من مناورات . اما الثقافات والحضارات التي نشأت في حوض البحر المتوسط فيكفي ان يقال انها كانت الضوء الذي اضاء العالم المظلم كله . لان الديانات جميعاً نشأت من شرق البحر المتوسط ، ولان الفلسفات والحضارات قديمها وحديثها ظهرت في مصر الفرعونية واليونان الاغريقية وايطاليا الرومانية والاندلس العربية .

وقد قرأنا كتاب إميل لودفيج فاعيانا الجهد الذي بذلناه في تلاوته . فكيف للمرء اذن ان يقدر الجهد الكبير المضني الذي بذله في ترجمته الاستاذ زعيتر بك بجمله يحاكي الاصل الفرنجي وكيف للقارىء ان يتصور العناء المبرح الذي احتمله زعيتر بك بصبر وجلد حتى انجز عملا لا يقوى عليه الا ذوو العزمة الماضية البتارة ، فقد يسر علينا المؤلف والمترجم معاً مهمة استقصاء ماضي البحر المتوسط لنستطيع من خلال هذا الماضي ان نجلو حاضره ومستقبله .

وصور لنا المؤلف والمترجم صوراً من المعارك التي وقعت في البحر وعلى شطآنه ، ومنها يقوى المرء على تقدير مدى خطورة المعارك التي قد يشهدها هذا البحر اذا اندلع لهيب حرب جديدة .

ومن خلال الفلسفات السياسية التي ساقها المؤلف والمترجم امكننا ان نسترشد في دروس السياسات المعاصرة . فالمكيافيلية لا تزال طابع كثير من الدول ، والقرصنة المنظمة لا تزال منهاجا لدول تزعم الحضارة ، والحروب الدينية لا تزال تجد لها انصاراً في عالم اليوم ، كأنما تروم استعادة ايام الحروب الصليبية .

وليت القدر أمهل اميل لودفيج ليضيف الى «البحر المتوسط» فصلا جديداً عن دولة اسرائيل التي تعد بعد ليبيا احدث دول هذا البحر ، فان رجلا مثله ، عرف بالاصالة العلمية والاستقامة الذهنية والامانة في التأريخ والسرد ، كفيل بان يسجل على اسرائيل حكم التاريخ العادل فيقول عنها إنها دولة ولدت في بركة من دماء الابرياء ، ونشأت على أكتاف التعصب الديني الضيق ، ورضعت من لبان دول الاستعمار وترعرعت في الحماية امام اعين هيئة الامم المتحدة ، وصارت الآن ذات اقتصاد مهيض الجناح يعتمد على مبرات الاميركيين وتبرعات البريطانيين وتتطلع الى الاعتداء على جاراتها لايجاد مجال حيوي لابنائها .

ليت إميل لودفيج كان على قيد الحياة ليروي لنا بقلمه البليغ قصة اسرائيل ، فيترجمها بدوره الاستاذ عادل زعيتر بك ، وهو الذي شهد فصولا دامية كالحة السواد من فصول هاته المأساة الانسانية المروعة .

فليس في كل ما طالعناه في كتاب «البحر المتوسط» من وقائع ودسائس ومعارك ما يمكن مقارنته بكارثة فلسطين التي وقعت عام ١٩٤٨ بينما طبع لودفيج كتابه في عام ١٩٤٢ .

٢ ـ عنوان النشيد

لمحمود أبو الوفا ـ شعر ـ ٦٦ صفحة ـ مطبعة مصر

الحياة احجية يحار المرء في تفسير كنهها ، وكلما ظن انه شارف مأربه ، تبين انه بعيد بعيد ، يخوض بحاراً عميقة الغور ويقطع فيافي مترسلة في امتدادها ويسير في فضاء يعقبه فضاء . فمن اين تبدأ الحياة وأين منتهاها ؟ هل تنتهي الحياة يوما ، او انها كالساعة الدقاقة تفضي ثوانيها الى دقائق ، ودقائقها الى ساعات وساعاتها الى ايام وايامها الى غير منتهى ؟

اراد فلاسفة اليونان ان يكتنهوا سر الحياة ، فقال بعضهم ان سرها في النار ، وقال غيرهم : بل في الماء ، وقال آخرون : ان سرها يكمن في الهواء الذي نتنسمه فنعيش وبدونه نغدو أجساداً في الهمود . ولكن الشاعر المجدد الثائر محمود ابو الوفا يرى في القوة سر الحياة . وليس معنى ذلك ان الشاعر يدعو الى البطش وسياسة الغاب ، فالقوة عنده ذات معنى بعيد البعد كله عن البطش ، بل معناه ان الارض اليوم لا تتسع الا لكل ذي سلطان ، ومن افتقر الى سلطان مهما يكن هوان شأنه لفظته الحياة من جوفها ، والتهمته عجلتها الدائرة الهادرة السادرة .

فيقول ابو الوفا في ديوانه الجديد «عنوان النشيد» :

ليس كالقوة في الدنيا فضيلة
هكذا قالت لنا الروح النبيلة
قلت : يا روحي ، هل ثم وسيله
لتلافي الضعف ، والضعف رذيله ؟
قال : إلا في طموح الكبرياء
لم أجد للضعف في الناس دواء

فالقوة إذن هي الفضيلة التي صارت اليوم تسمو على كل فضيلة عداها . اما الخاملون ، او الذين بهم خور ، او الذين حرموا مظاهر القوة ، فان الحياة صارت اليوم تضيق بهم .

فمن يرم العيش ، فليصغ الى نصيحة «الروح النبيلة» التي تظهر في ديوان «عنوان النشيد» ثم تختفي ، كأنما ظل ينحسر

تارة ويظهر اخرى ، فليصغ الى الصوت :

استمع لي : إن من حق الحياه
للفتى ، إما يعش عيش إله
او يمت كالصوت لم يسمع صداه

فليس هناك بين بين ، ولا هناك وسط . فاما حياة كحياة الآلهة ، واما كصوت لا يسمع صداه وهو صوت خفيض .

ويصف الاستاذ ابو الوفا الضعفاء فيقول :

انهم في الناس جاءوا دخلاء
كالطفيليات في الزرع سواء

ثم يستدرك اذ يرى هؤلاء الضعفاء يتسلقون الى القمم بفضولهم وتطفلهم ، فيقول والدهشة تفغر فاه :

وي ـ وما الناس ـ كيف الدخلاء
في زهور الارض تغشى الاصلاء
ايها الانسان ، يا بعكر الحياه
انع هذا العار عن وجه الاله .

والشاعر في ديوانه لا ينفر من القوة ، فهي في عرفه فضيلة محببة ، ولكنه ينفر من المقاييس والمعايير التي صار الناس يقيسون بها القوة ، فجعلوا الواهنين في مكان الصدارة ، وجزوا الاقوياء ـ كشمشون ـ حتى يستافوا رائحة الشواء ، شواء ابدانهم التي تحرقها نار الارض .

ويعود ابو الوفا يتأمل هذه الحياة ذات الاحاجي ، فيرى الانسان سيدها فقد الجم الانسان الرياح ، وسبر اغوار الافلاك واذل اعناق أعنة السماء فركبها ، واستعبد المحيطات فصارت له مطواعة ، ولكنه يرى ان الانسان لم يستثمر بعد جميع « طاقات اقتداره » ويقول : آه لو يعرفها كيف تدار . آه لو يقوى اعتداداً وارادة . لاستقل الارض افقاً للسيادة ، فانت يا انسان للارض الملك : كيف لا تحكم فيما تملك؟ بينما الدنيا جميعاً هي لك؟

ويرى الشاعر ـ والشعر رؤاه واخيلته ـ ان آدم باع «عدن» واشترى الارض لانه بها افتتن ، رفض ان يعيش حياة ما له فيها جهاد .

سوف اختار لنفسي ما أحب
سوف لا اعمل الا ما يجب
أأعيش العمر مهدور السبب ؟
في مكان فيه ، ما لي أي ظل
لا ، واني لست بالعضو الأشل
انه لا بد لي أن أشتغل
انه لا بد لي ان استقل

لم يرض آدم ان يكون في الجنة مخلوقاً عادياً فاستجار مما هو فيه وقال : رب هب لي حق تقرير المصير ...هذه اولى واخرى طلبتي .. اعطي حقي في حريتي ... ثم خذ ما شئته من جنتي .. ولتكن مهما تكن لي قسمتي ..

فالشاعر يمجد العمل ، ويمجد الكفاح ، ويرى ان الخامل عبء على الحياة ثقيل ، يزحم الارض ولا يسهم فيها بشيء . وما المحن مما تعاب عليه الارض ، ولكن اذا كان جزاء العامل هو الالم وحده فان في الارض نقائص ينبغي العمل على تلافيها .

فالانسان سيد ، ولكنه لا يؤمن بذاته وإلا لأتى في الارض كبرى معجزاته .

وبعدما تكشفت للشاعر حقيقة الانسان وحقيقة قوته ، وعرف اي جبروت هذا الذي جاء الى الارض يضرب فيها بفأسه وقدمه ، عادت الاحجية القديمة الحيرة : فقد زادت الدنيا اتساعاً لاتساع ، ولكن اكثر الناس جياع . الا في الناس من يشفي الطمع ؟ او يداوي الناس من داء الجشع ؟ الا في الناس من يصلح الناس قبل ان يفلح الارض ويستدر منها غلالها ؟.

ثم يحسب الشاعر أنه عرف سر هذا اللغز ، فالانسان لا يزال أسير تقاليد الجدود ، تتحكم فيه وفي طباعه فتجعله ذليلا ضارياً : ذليلا اذا نزع منزع حيوان الغاب ، وضارياً اذا استبد وبغى ولم

يتعال عن هواه او يتسام .

ويمضي الاستاذ ابو الوفا يحلل النفس البشرية العجيبة، كيف تحب وكيف تكره ، وكيف تؤمن وكيف تكفر ، وكيف تلهو وكيف تعبس ، وكيف تخاصم وكيف تسالم ، وكيف تتسامى وكيف تنحط وكيف تهيم بالطبيعة وكيف تهيم بالحسن وكيف تحلق في الاجواء وكيف تسير على الارض ، ثم يقول « ان فن السير في الارض عسير » وهو فن لا يحسنه الا من استوى عوده وعرف كيف يجتنب العثرات وينأى عن مواطن الزلل .

وللقارىء ان يسأل : اين هو الحق إذن؟ واين سككه ودروبه.

فيجيب عليه ابو الوفا قائلا :

سكك الحق على الارض عديده
قدمت جداً ، وما زالت جديده
وهي في عين لك تبدو مديده
فهي في اخرى ترى ليست مديده
فاذا سرت بهـا تلقى الدمـاء
خططت فيهـا أسامي الشهـداء

من هنـا تنظر اشلاء شهيـد
وهنـا تنظر آثـار شهيـده
وهنـا الارواح تهفو من بعيد
لبعيـد ، وهي ما زالت بعيده
هذه يا صاح ذي طرق العقيده

ويعود ابو الوفا الى ترديد دعوته الى الجهاد والدأب، فيقول للسائر في الدرب : حث الخطى ، ويقول للعابر في الطريق : سر ولا تهن ،

أنت تمشي الان في وادي الجليد
حث حث السير ان كنت تريد
إن أردت القصر ذا الباب المشيد
دق دق الباب بالكف الحديد
لن يكون الحق ذو العرش المجيد
مغلق الابواب في وجه مريد
ايها البواب جبار عنيد
ايها البواب .. افتح للطريد
لا تقل من انت، او ماذا تريد
انه للحق قد جاء يريد
ايها البواب .. افتح للمريد
ها هنا يا صاح عنوان النشيد
لا تسلني الان عن بيت القصيد

ويواصل الطرق على البـاب فقد انسابت روحه في تلك الشعاب ، ويلح في الطلب قائلا :

افتح افتح أي باب، اي باب
انني لم أدر ما في يباب
لا تقل عني اني من تراب
إنما قل ... آه ما اهل التراب

ولكن الباب لا يفتح، والروح لا يظهر ، فيعود الشاعر الى بيداء ضلاله وشكه قائلا :

هل اظل العمر أدعو لا اجاب ؟
أي غاب انا فيه ، اي غاب ؟
فتي يا روح من غير صحاب
النمور الحرد ، الاسد الغضاب
للافاعي الزرق، أو زرق الذباب
لا تقل لي في غد عند السماء
سوف تلقى الروح او تلقى العفاء
ولماذا لم يكن هذا اللقاء ؟
ها هنا في الارض، ان كان لقاء !

والسماء والأرض والكل سواء
وابتدائي كان بالغير انتهاء
وانتهاء الغير لي كان ابتداء
والمساواة ، وتحقيق الاخاء
ذي هي الغاية يا روح السماء
لا ، ولكن ان يكن ثم رجاء
فليكن في الارض تحقيق الرجاء .

وهكـذا يختتم الشاعر ملحمته الفلسفية الاخلاقية النفسية الفريدة ، ترك روحه في العالم تهيم كيفما تشاء ، وترك خاطره يسبح في بحر لا يعرف شطاً . وسجل بانغام الشاعر هـذه الاحجيات كيفما تراءت له ، وحاول تعليل بعضها فاجاد، وانبرى للبعض الاخر فازداد امامه الظلام الدامس . وصعد مع الارواح يناجيها ، وهبط على الارض يتعلق بها . لا يعرف استقراراً ولو على حال من القلق ، ولا يمكث حيث هو لحظات . اعطه الحرية يأباها ، وامنعها عنه يرجوها وينشدها . "يتصرف آناً كالطفل الملحاح يدق الباب ويلح في الدق، ويتصرف آناً كالزاهد السالي الذي يرى المجد امامه فينبذه في ترفع وازدراء . تتردد نفسه بين شك لا يأتيه يقين ، وبين يقين لا يأتيه شك ، فهو في قلق من امر نفسه ، وقد زاد هذا القلق لان الروح العظيم يبدو آناً ثم يبادر الى الاختفاء فكانه شمعة تضيء قليلا فنير الطريق ولكنها سرعان ما تنطفيء فتخلف وراءها اشباحاً وظلالا".

لقد عرف ابو الوفا في ديوان « عنوان النشيد » شيئاً من من اغوار النفس البشرية ، ولكنه اعترف بانه لم يستطع ان يجلو النفس جلوة كاملة . عرف سر الحياة ، ولكن هذا السر زاده حيرة وتوزعاً . عرف نوازع البشر ، ولكنها نوازع عسير ضبطها تفلت منه كلما اراد ان يفرض عليها سيادته .

وبعد ، ان ديوان «عنوان النشيد» ملحمة فيها ابتداع وفيها ثورة وفيها تجديد وقد استفاضت في الديوان شاعرية ابو الوفا في عنفوانها فصارت نبضات قلب الشاعر مسموعة لكل من يقرا الديوان ويصيخ السمع باذنين مرهفتين.

القاهرة — وديع فلسطين

وحدة القصيدة

في الشعر العربي

تأليف عبد المنعم خفاجي الاستاذ بكلية اللغة بالقاهرة - ٤٨ صفحة
نشر مكتبة الحرم الحسيني التجارية بالقاهرة

هذه الدراسة النقدية العميقة اظهر دراسة لوحدة القصيدة في الشعر العربي في ادبنا الحديث .

ولقد درسها المؤلف في هذا الكتاب من شتى جوانبها التاريخية والادبية والنقدية ، دراسة علمية اصيلة ، تقوم على التوجيه والتفصيل ، فألم بمعنى وحدة القصيدة ، ونظام القصيدة في الشعر العربي القديم والمحدث ، واسباب ذيوع هذا النظام في القصيدة العربية ، وثورة النقد الحديث على النهج الادبي القديم وتأييد الشعراء المعاصرين لوحدة القصيـدة ، وسوى ذلك من الدراسات .

ودعا الى التجديد في مطلع كتابه، وفي آخر بحثه عن وحدة القصيدة ، دعوة حارة .

ثم اتبع ذلك بعدة آراء ادبية عن الشعر وعناصر الجمال الفني فيه ، وعن الادب والنقد ، والادب والعواطف الانسانية .

ولا شك ان الكتاب رغم صغره ذو فائدة جليلة للشعراء والادباء والباحثين .

القاهرة — محمد فكري ابو النصر

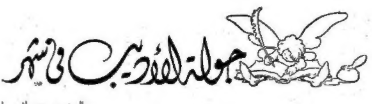

قصة من الماضي

•••

سيدي الاستاذ البير أديب : تعرفت الى الاديب منذ اكثر من سنتين بواسطة صديقي الأستاذ راجي ظاهر وكلما وصلني عدد منه اتنى عند مطالعته عيطي الذي لا ازال غريبا فيه رغم السنين الطويلة وارجع الى وطني الاول لبنان الجميل . ربما ارجع اليه بعد ما يمر الشباب ولا يعود في له اقل نفع . او ربما اقضي هنا كسواي من الذين لم تتحقق رغائبهم ويرجعوا الى الوطن الذي لم يعرفوا ان يعيشوا فيه .

جلست امس الى مكتبي اقلب اوراقا تراكت بزواياه منذ سنين بغية التخلص مما لا منفعة منه . هنا مقالات وقصائد وقصص صغيرة كلها نشر بجرائد المهجر وتنوسي مع الزمن . ولم احفظها بمكتبي وحق اولادي لا يفهمون كلمة منها انها بنات عواطفي ويجب ان لا اتركها مهملة وحيدة فلامزقها كما مزقتني الايام . انها غريبة مثلي في هذه البلاد .

وقد قضيت على قسم منها ولكني وقفت عند وصولي الى هذه القصة الصغيرة انها قصة غرام شاعر حساس عرفه العالم العربي واحبه وقد كان لي بسفري استاذاً ومرشداً وقد كتبتها وراعيت الصدق بكل كلمة فيها . هذه يجب ان تحفظ على صفحات الاديب ليقرأ محبو الشاعر القروي حكاية غرامه الاول والشعلة الاولى التي علقت بعواطفه وقلبه والتي لم تخمد السنون الطويلة لهيبها النير كما نرى من ابياته التالية التي ارسلها لي عندما قرأ هذه القصة على صفحات جريدة السائح النيويوركية منذ سنين .

***

كان ذلك حوالي سنة ١٩٠٤ على ما اظن عندما انشأ المرسلون الاميركان اول مدرسة بقرية « انفه » بشمالي لبنان فاستأجروا لها غرفة واحدة واسعة تُطل على البحر وارسلوا لها استاذاً يقوم بواجب التعليم والوعظ معاً واعني بالوعظ صلاة الاحد على الطريقة الانجيلية .

قدم ذلك الاستاذ الشاب قبل افتتاح المدرسة باسبوعين فلم ينتبه له احد لتعقله ورزانته ولكنه ما باشر القيام باعباء التعليم ومر عليه الاحد الاول الذي القى به صف الترتيل حتى صار حديث سكان القرية جميعاً لرخامة صوته الذي فتن سامعيه واصبح بعد مدة قصيرة ذا اهمية تذكر .

وكانت غرفة المدرسة ملاصقة لغرفة اخرى يسكن بها شقيقتان انعم الله على الصغرى منها بجمال سماوي طالما انعم به على كثيرات من بنات شمالي لبنان فكن يحفظنه نقيا خالياً من شوائب المساحيق والفساد المدني . ولم يكد يمر الاسبوع الاول على افتتاح المدرسة حتى صارت الفتاة الصغرى « ولنسمها لورينا مثلا » تقف قرب النافذة كلما حان وقت انصراف التلامذة، لتتفرج على العابهم وعند خروج المعلم من المدرسة كان يلتفت لتلك الجهة لفتة معنوية فتقابله تلك الفتاة بابتسامة لطيفة لم يكن لها معنى غير التحية اولا . ولم يمر الاسبوع الثاني حتى صار لتلك الابتسامة الف معنى بقاموس ذلك المعلم الواعظ .

وكان لذلك المعلم « ولنسمه رشيد مثلا » تلميذ مقرب اليه فكان يوجه له انتباهاً خاصاً ويطلب منه احياناً خدمة صغيرة مثل مشترى « صحن حمص بطحينه » او « ثلاث اواق لبن » وما شاكل من ضروريات معيشة القرى فكان ذلك التلميذ الصغير يقوم بما يطلبه منه استاذه بسرعة يدفعه اليها حبه لذلك الاستاذ وتعلقه به .

في صباح احد الايام بعدما فتح المعلم باب المدرسة ودخل التلامذة فجلسوا كل واحد في مقعده اشار لتلميذه المذكور ثم امره همساً ان يذهب ويأته بشربة ماء من المنزل الملاصق فذهب مبتسما الى الغرفة الثانية حيث كانت لورنا منهمكة باشغال منزلية فوقف بالباب طالباً ابريق ماء الزهر فاعطته اياه قائلة « مرحبا به كلما عطش » فذهب الولد بالابريق ثم رجع بعد هنيهة قائلا « معلمي متشكر ياست » فاخذته الفتاة وعندما وجدته فارغاً قالت « يظهر ان استاذك متروق سمك مقلي » فاجاب التلميذ مبتسما « لا اظن فقد شرب جرعة واحدة وافرغ البقية على الارض »

مر الاسبوع الثاني والثالث فصار المعلم يعطش لا اقل من عشر مرات في النهار وحامل الابريق وجد له تسلية تلهيه عن الدرس وصارت رفقة « الاخت الكبرى » تذهب بجرتها الى الغدير مرتين او ثلاث كل يوم وهي تسائل نفسها ما تفعله اختها بالماء وبعد مدة صار المعلم يرقب خروج رفقة من البيت فينسل الى الخارج ويقف قرب نافذة لورنا بضع دقائق يتبادل معها « كم كلمة عشرة » ثم صار يقف بالباب واخيراً « قوى قلبه » فخطا الى الداخل وبعد بضعة اسابيع اخر صارت مدرسة رشيد عند لورنا من الصباح الى المساء وصار ذلك التلميذ وكيلا يكتب اسماء مشوشي النظام وقائمته تكبر يوماً عن يوم ..

تلك الصخور القائمة على الشاطىء والتي شاهدت عظمة احدى مدن الفينيقيين السبع القديمة لو قدر لها ان تنطق لاخبرتنا عن ذلك الغرام الاول ولوصفت لنا تلك الجلسات التي انفرد بها الحبيبان بينها . ولرددت لنا صدى الانغام السحرية الاولى التي كان ينشدها ذلك الرشيد لحبيبته القروية اخذاً اباتها من دوان عشتروت المرفرفة روحها فوق خرائب معابدها القديمة هناك .
وتلك الامواج التي طالما قبلت اقدام هذين الحبيبين لم تزل حافظة بصمتها الرهيب اسرار تلك الاجتماعات الحلوة وهي لو قدر لها ان تتكلم لاخبرتنا عن عجائب العفاف والطهارة وقرأت لنا قصيدة الحب والحياة ... ولكن مسكين رشيد ولورتا وذلك الحب الاول فقد دري بها بعض اهالي القرية وعلموا بعلاقتها فكثر القيل والقال حتى اضطر العاشقان الى قطع الصلات ظاهراً والاجتماع خلسة وكثيراً ما حالت الرقباء والعيون دون تلك الاجتماعات السرية فتنغصوا بذلك عيشهما . واخيراً وجد اقارب الفتاة ان خير واسطة للفصل بينهما هو ارسال لورتا الى اميركا حيث اهلها هناك وهكذا كان فاغلق الستار على ذلك الحب الذي اظهر للوجود شاعراً حساساً بكل ما في كلمة الشعور من معنى .
اما رشيد فقد ترك تلك القرية الى غيرها ومن تلك الى اخرى حتى رمى به الزمن في العالم الجديد ولكن روحه لم تزل ترفرف مع عشتروت فوق تلك القرية كل صباح ومساء، واحلام تجول بين تلك الشواطىء والصخور وتلك الشعلة الاولى التي علقت بعواطفه فالهبتها لم تزل عالقة بها للان فتحس بحرارتها بكل اناشيده وموشحاته وقصائده وكلما قربت ان تخبو تحت رماد السنين والحوادث كان يوقظها :

بالغرام الذي مضى والرجاء الذي قضى

فتشتعل لدى الذكرى اشتعالا يلامس القلوب الباردة المظلمة المتحجرة فيدفئها وينيرها ويذيبها .

***

في خرائب تينك الغرفتين اللتين هجرتا بعد سفر رفقة ولورتا الى اميركا ابريق خزف انقض عليه تراب السقف فدفن بعضه وترك البعض الاخر ظاهراً تلثمه اشعة الشمس الداخلة من خلال الاعشاب المتدلية الى الارض ولو قدر لذلك « الشاعر القروي » زيارة تلك الغرفة الخربة لرأى ذلك الابريق لم يزل كما رأيته منذ سنين ورغماً عن اللون الادكن الذي كسته اياه الشمس والرطوبة لم تزل فيه بقية رائحة ماء الزهر لم تقو عليها تلك السنون الكثيرة السوداء .

الولايات المتحدة **جليل عساف**

وهذه ابيات الشاعر القروي الذي ارسلها جوابا على هذه القصة

ابريقنا القديم

يا عزيزي جليل سامحك الله على فتح جرحي المضمود
راقك البحث في خلال رمادي فاثرت النيران بعد همود
لا تحرك تلك العظام ولا تقلق رفات المكفن الملحود
رحم الله عهد امفيبليس رحمة مستمرة التجديد

***

ايه ابريقنا القديم الذي مات ظمأ وكم روى من كبود
اين اين «الغير» الشهير يروي منك قلب العبد الامين الشهيد
اين تلك الملاك تعطيك روحاً لو اشارت بقبلة من بعيد
ماؤك العذب آه واحر قلبي بالملل بعد برده تبريدي
دفنتك الايام جنباً لجنب مع حبي والمنزل المعبود
ليس بدعاً الست مثلك فخاراً طريحاً في درب عصر الحديد
نم هنيئاً في جيرة الطلل البالي ولا تخش ان يطول صدودي
ربما صرت قطعة من كياني بعد موتي وعالماً من وجودي
يتلالا كالنجم في جو روحي نور ذكراك في الزمان العتيد
فتمرد على المنية مثلي انما انت خالد بخلودي

البرازيل **الشاعر القروي**

مكتبة نعمة يافث التذكارية
في الجامعة الاميركية ببيروت

وجه الدكتور بنروز رئيس الجامعة الاميركية ببيروت دعوة الى الصحفيين لباها عدد يسير منهم فاجتمعوا اليه في مكتبه حيث وزع عليهم البيان التالي :
ستدشن في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الاثنين في ٥ ايار مكتبة نعمة يافث التذكارية في الجامعة الاميركية في بيروت وسيحضر حفلة التدشين نفر من آل يافث قدموا خصيصاً من اميركا الجنوبية لهذا الامر . والمكتبة هذه هي هبة للجامعة من

انه اذا حصل حريق مثلا بسبب التدخين او غيره فان بالامكان حصره فلا تتعرض البناية كلها الى الحريق . وفيها ايضاً « اسانسور » معد لنقل الكتب الضخمة من طابق الى طابق كما انها مزودة بدهاليز حديثة تسهل نقل الكتاب من اعلى الى اسفل وبالعكس .

والبناء مجهز ايضاً بالات سحب الهواء الفاسد بحيث لا تتراكم الانفاس بشكل مؤذ وامامها ساحة جميلة بني المدخل في آخرها بشكل هندسي جديد بجعله يتوافق في العين مع البناء العتيق المواجه له حيث كانت المكتبة القديمة .

وصعد الرئيس بروز بالصحفيين الى سطح البناية الجديدة فاذا بهم يشرفون منه على منظر من اروع مناظر بيروت فلاشيء يصدم النظر شرقاً وغرباً وشمالا من الجبل في الشرق الى حدود النظر في البحر . وقال الرئيس بروز ان حفلة التدشين ستحصل اولا في الساحة الارضية مقابل البناية ثم ينتقل المدعوون لتناول المرطبات على سطح البناء الذي يستوعب خمساية شخص ونيف .

وسأل الصحفيون مدير المكتبة عن اللغات التي تحتويها الكتب في المكتبة فاجاب معظم اللغات . وهنا سأله مندوب « الديار » بما فيها اللغة الروسية ؟ فتبسم المدير ثم اجاب لا اعتقد ان هناك كتباً بالروسية عندنا . ولكن الرئيس بروز تدارك الموقف بلباقة فقال : نحن على استعداد لقبول اي كتاب من اية لغة كانت يهدى الينا . فالقضية اذن اصبحت من اختصاص ممثل مكتب الانباء السوفياتي في بيروت ...

وفي اعلى البناء غرفة للاستراحة فيها مطبخ صغير لتناول القهوة والشاي والمرطبات مخصصة لهيئة المكتبة . وقد دعي الصحفيون الى تناول القهوة فيها .

وتجاه هذه الغرفة في الطابق العلوي سلسلة غرف متفاوتة الحجم مستقلة عن بعضها بعضاً ومعدة للمطالعة والدرس بحيث تستطيع شلة من الطلاب الاجتماع فيها والمناقشة بدون ان يسبب ذلك اي ازعاج لغيرهم .

« الديار » بيروت

موسيقى ...

اكتب هذه السطور ، وانا استمع الى قطع موسيقية من احدى الاذاعات الاوروبية ، واني لاحس الالحان تنصب في جسدي كدفق الشلال ، فهي صفاء وعذوبة وهيج ، وهي ـ مع ذلك ـ قوة وعنف ونشاط وثورة .

لقد عدت من اعمال نهاري منذ ساعة ، وجلست الان الى مكتبي لاعود الى العمل ، الى عملي الليلي . وكنت منذ لحظات في هدأة بين عملين ، استجمع قواي الذهنية وقواي الجسدية ، وكنت شديد الحاجة الى الشعور براحة ذهني وجسدي في هذه اللحظات القليلة ، وما كان لي سبيل الى ذلك ، الا ان افتح هذه النافذة « السحرية » تنتقل بي الى كل افق في الارض ، وانا في جلستي هذه لا اريم ، عسى ان اجد في احدى الاذاعات ، ما يريح الذهن ، او ينشط الجسد ، او يهدهد قوى النفس .

هذه اذاعة عربية ، واذاعة عربية ، واذاعة عربية ... هذه هي جميعاً تصخب وتصرخ وتعج بالانغام والالحان من كل لون ، ولكن ما بالي لا اجد فيها راحة للذهن ولا نشاطاً للجسد ولا هدهدة لقوى النفس ؟. مالي ازداد تعباً وازداد شعوراً بالحاجة الى راحة الذهن وراحة الجسد ؟ مالي اهتاج واغضب وانتفض عصبية وانفعالا واضطرابا :

اليست هذه الواناً مختلفة من موسيقانا العربية تزخرفها الوان من مختلف الموسيقى العالمية؟ اليست هي الحاناً تتميز باسماء وعناوين ذات معاني ورموز وتعبير ، كما تتميز هكذا الحان القوم في غير دنيانا العربية ؟. اليست هي تجديداً للالحان العربية القديمة تفلت من «قوالبها» العتيقة وتنسكب انسكاباً في هذه العناوين والرموز اللطيفة الحلوة الندية ؟

بلى ، هي كذلك ، ولكنها تتعب الذهن والنفس والجسد جميعاً ، لانها ليست عربية ولا افرنجية ، اي ليست فناً اصيلا صادراً من الحياة ، ليست تعبيراً عن نفوس واذهان واجساد تتصل بدنيا الناس في المضطرب الواسع : مضطرب الحركة الشاملة والاحاسيس الشاملة والاحداث الشاملة ، لانها ليست تجديداً حقاً ، وانما هي تقليد ومسخ وتشويه .

وها انذا الان انشط للعمل وانتعش واشعر براحة الذهن والجسد معاً ، اذ استمع ، من اذاعة لا تعرف العربية ، الى هذه الالحان تنصب في جسدي كله كدفق الشلال ، فهي صفاء وعذوبة وهيج ، وهي ـ مع ذلك ـ قوة وعنف ونشاط وثورة .

ان هذه موسيقى الحياة ، وانا ابن الحياة ، فمتى تنبثق موسيقانا العربية من قلب الحياة العربية ، او الانسانية ؟.

« الحياة » بيروت

حسين مروة

٢٥ أبريل ١٩٥٢ ـ قام ٢٠ الف متظاهر من المانيا الشرقية بهجوم على برلين الغربية واشتبكوا مع البوليس في معركة دامية .

٢٦ ـ أبدى عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر في انجلترا للمستر ايدن الذي عرض عليه الخطوط الكبرى للمقترحات الجديدة انه لا يرى كبير أمل في قبولها كاساس للدخول في المفاوضة . وقد قرر الجانب البريطاني إعادة النظر ثانية في المقترحات الجديدة .

٢٨ ـ رفضت الحكومة العراقية مذكرة الاحتجاج الايرانية على انشاء قنصلية بالبحرين واكدت أنها أرض عربية وان ايران ليس لها حق التدخل في شؤونها .

ـ أعلن الرئيس ترومان تعيين الجنرال ريدجوي قائد قوات الامم المتحدة في كوريا قائداً لقوات الحلف الاطلسي خلفا الجنرال ايزنهاور الذي قدم استقالته .

٢٩ ـ أعلن الرئيس ترومان ان الجنرال ماك كلارك سيخلف الجنرال ريدجواي في الشرق الاقصى .

٣٠ ـ اصدر القضاء الامريكي حكمه بعدم شرعية مصادرة الحكومة لمصانع الفولاذ الامريكية في سبيل زيادة الاجور لمنع اضراب العمال .

ـ أعلن ٧٠٠ الف من عمال الفولاذ في امريكا الاضراب العام .

ـ اعلنت الحكومة اليونانية ان وجهات نظر الطرفين اليوناني والتركي كانت متفقة في اثناء المحادثات الدائرة في اثينا بشأن الدفاع المشترك

٢ مايو ١٩٥٢ ـ أصدرت الحكومة المصرية بلاغا رسميا ذكرت فيه انها لم تتلق بعد مقترحات الحكومة البريطانية بشأن السودان وانها رفضت قبول مبدأ الدفاع المشترك عن منطقة القناة رفضا باتا .

٣ ـ طلب مندوبو الكتلة العربية الأسيوية الأفريقية في نيويورك الى حكوماتهم اصدار تعليمات جديدة لهم بشان قضية تونس وما اذا كان يجب دعوة الجمعية العمومية لهيأة الامم الى عقد دورة استثنائية عاجلة .

٥ ـ قام وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى برحلة الى افريقيا الشمالية مبتدئا بتونس .

ـ صارحت الولايات المتحدة بريطانيا وفرنسا بانها ترى مفاوضة روسيا بموجب مقترحاتها الأخيرة الرامية الى اجراء انتخابات حرة في المانيا توطئة لتوحيدها .

٧ ـ اطلقت السلطات الفرنسية في تونس سراح السيد محمد شنيق رئيس الوزارة التونسية السابقة وثلاثة من اعضاء حكومته .

ـ عين الجنرال جوان ماريشال فرنسا بناء على اقتراح وزير الدفاع السيد رينه بليفن .

ـ منح الجنرال لوكليرك رتبة ماريشال فرنسا بعد الوفاة .

٩ ـ وصل الأمير عبد الاله الوصي على عرش العراق الى مدريد في زيارة رسمية وقد جرى له استقبال حافل .

١٠ ـ صرح الماريشال تيتو ان يوغسلافيا لن تعترف بالقررات التي اتخذتها الدول الثلاث في مؤتمر لندن بشان قضية تريستا ومنحها ايطاليا حقوقاً في ادارة منطقة «أ» من ثغر تريستا الحرة .

١٢ ـ صرح المستر انطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية ان المفاوضات الدائرة في الوقت الحاضر مع المانيا لا تنص بحال من الاحوال على السماح لها بصنع الأسلحة الذرية

ـ وصل الماريشال مونتجومري الى انقرة قادما من اثينا وقد صرح بانه يرجو ان يتباحث مع المقامات العسكرية والسياسية التركية باشياء هامة .

١٣ ـ ادى رئيس الجمهورية الهندية الدكتور براشاد اليمين الدستورية في البرلمان وقد استقالت وزارة البنديت نهرو ثم عاد فألف الوزارة الجديدة .

١٤ ـ طلب المستشار ايدناور من المندوبين السامين الغربيين ان يبدأ نفاذ اتفاقات الصلح بين المانيا وبين الدول الغربية فور ابرامها في برلمانات الدول الاربع الموقعة عليها . وكان اتجاه الغربيين أن يبدأ تنفيذ هذه الاتفاقات بعد ابرام معاهدة الجيش الاوروبي لدى الدول الست الموقعة عليها .

١٥ ـ سلم الى موسكو رد حكومات امريكا وانجلترا وفرنسا على المذكرة السوفياتية المؤرخة في ٩ أبريل المتعلقة بقضية معاهدة الصلح مع المانيا . وتشدد الدول الغربية على أنه لا يمكن بحث معاهدة الصلح الالمانية الا مع حكومة حرة لالمانيا كلها تنبثق عن انتخابات حرة ولذلك فهي تقترح أن تقوم لجنة حيادية باجراء تحقيق للتأكد من توفر الشروط لهذه الانتخابات ثم وجوب اجتماع ممثلي السوفيات وامريكا وبريطانيا وفرنسا للنظر في تقرير اللجنة وللاتفاق على قيام وضمانة حرية الانتخابات .

١٦ ـ صرح مصدر عليم في هيئة الامم المتحدة بان اسرائيل تقوم الان بتوسيع مطاراتها وتجلب قوات عسكرية جديدة وتوزعها في الجزء الشمالي المواجه للحدود السورية والتبرير عنها تزعم مصالح الدعاية أن العقيد أديب الشيشكلي يعد العدة لاثارة الحرب ضد اسرائيل من جديد .

١٧ ـ صرح الجنرال كولنز رئيس الاركان العامة للقوات البرية الامريكية بان زهاء ثلاثة ارباع جيوش الولايات المتحدة هي الان خارج امريكا في عدة قواعد بانحاء العالم .

ـ وصل الى بيروت السيد سوفوكليس فنزيلوس نائب رئيس الوزارة اليونانية ووزير الخارجية .

١٩ ـ اتهم الرئيس ترومان الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة بالاستسلام لدعاة العزلة .

ـ درست الحكومة المصرية الرد على المقترحات البريطانية واكدت الصحف المصرية ان الجواب المصري سيكون برفض المقترحات المتعلقة بالسودان .

٢٠ ـ فرضت السلطات السوفياتية قيوداً جديدة على حركة نقل الركاب والبضائع من المانيا الغربية الى برلين . ولم يعرف سبب فرض هذه القيود .

٢١ ـ بعثت الحكومة البريطانية بمذكرة الى حكومة الصين الشعبية تبلغها ان الشركات البريطانية قررت تصفية اعمالها والانسحاب من الصين .

دار الطباعة والنشر اللبنانية ـ بيروت
تليفون 98 - 35